

بوابة خربة بني دار

رواية



حسين المناصرة

بوابۃ خربۃ بنی دار

* بوابة خربة بني دار

* حسين المناصرة

* الطبعة الأولى 1997

* جميع الحقوق محفوظة

* الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع

سورية - اللاذقية ص ب - 1018 - ☎ 42239

دار الحوار للنشر والتوزيع

حسين المناصرة

بوابة خربة بني دار

رواية

الإهداء:

ثمة أناس ضحوا بأرواحهم من أجل

الآخرين

إنهم يستحقون أوسمة اللذة..

إلى شهداء الانتفاضة في خربة بني دار أهدي

هذا الخطاب ..

كالعادة:

هذا خطاب تخيلي بكل أبعاده ..
وإن أية محاولة للكشف عن صلة تفضي به
إلى الواقع هي بكل تأكيد من اختراع مطلق
واعم ...

بوابة خربة بني دار

غيابه حضور وحضوره غياب / زيد العامر

تموت الأرواح عندما يشتعل الجسد / جمانة المشرفي

خروجه من القبر مواجهة مع الضياء / عوج بن عناق

تداعيات الوعي: الرمل والطوز والصخرة / امرؤ القيس

١-مدخل :

زيد العامر صعلوك عاش في عصر غابر، وهو لم يشتهر في أكاذيب الأعراب؛ لأن تلك الأكاذيب اهتمت بالشاهير من الصعاليك مثل : الشنفري وعروة بن الورد وتأبطشرا .. لم ينفصل زيد العامر عن قبيلته إلا في وقت متأخر قبيل موته إذا صح موته، وحينها تناثرت أخباره بين أصدقائه وأقربائه .. أنا وعمر النقوشي أهم من احتفل بأخبار زيد العامر ..

إنه لمن الصعب التكهن بوجود علاقة ظاهرية بين صعاليك الرواية ...

زيد العامر ... جاء من سياقات روائية معاصرة ...

جمانة المشرفي .. جاءت من ألف ليلة وليلة ...

امرؤ القيس .. هو غير الشاعر المعروف، لكنه قد يتشابه معه في التكوين ..

عوج بن عناق .. بطل أسطوري، يحضر بطريقة مخالفة لما عرف عنه ..

والآخرون كثيرون. وهم يحضرون لإحداث تجليات هذه الشخصيات المحورية
التي تتألف في رباعية من الحكى في "خربة بني دار"... وفيما
يجاورها من أماكن أخرى مشابهة ...

"هوية بني دار" تقع في الجنوب؛ قرب سدوم وعمورية.. لكنها
تختلف عنهما؛ لأنها منطقة أمن وسلام كما يروى في التواريخ القديمة ..
فيها يقال التقى النبيان لوط وإبراهيم عليهما السلام بعد التدمير الكبير...
وفيها أيضا مقام لوط ومكان صلاة إبراهيم والصخرة التي قتلت امرأة
لوط العاصية ...

وفيها كذلك مغارة يقال إن بنات الحسن والحسين رضي الله عنهم
جميعا ولدن أو متن بها ... وفيها النبع الكبير .. والمركة الكبرى .. ومغارة
العول ... وفيها التين والزيتون والعنب ..

وهي قريبة من طور سنين .. وتقع شمال البلد الأمين ..
ولكنها، ويا للأسف ، تقع بعد "الشواهد" حيث امتدادات الخوف والخراب
والجوع ... فأكثر الناس يهربون منها قبل أن يحل عليها المساء؛ لأن بقاءهم فيها
ليلا يعني أن تطير العقول بفعل مجهول ، يتلاعب به شيطان أو مجنون...

ومنها ترى البحر المالح وامتدادات الفضاءات الغريبة إلى ما لا نهاية
بالنسبة للعقول الصغيرة التي تتجهى الأشباح والفيضان والليل..

يوسف الشعمان ٢٠١٩ / ٢ / ٦م

القسم الأول:

زيد العامر

[غيابه حضور وحضوره غياب]

- ١ -

٢. أمنا الغولة:

كان ذلك الرجل طفلاً. وكانت أمه ذات الوجه المنقوع بالمهابة والصمت والكلمة الطيبة تهرس له الرمل في ثومة البحر، فتقدمه له طازجا، فيأكل .. ثم فجأة بعد أن يشبع ينام نوما عميقا ، يحلم أحلامه سعيدا باكيا هائما في الرمل والقيعان ورؤوس الجبال . ثم يصحو من نومه متهاككا يلوك لذة الرعب ، فتأتيه أمه كوجه ملائكي ساكن فتنقع له رمل الصحراء مع الورق في ثومة الروايات الحزينة ، فيشرب ، ويأكل ، ثم ينام، فيصحو ، وينام ... و"كان يا ماكان في

قديم الزمان وسالف العصر والأوان امرأة ضخمة مسكينة ، لم تنجب أطفالا ، ولم تفرح يوما لأحزانها، ولم تربي صفارا. تسير في الشوارع والحارات والبيوت المهترئة ، تبحث عن المشردين الصغار ، لأب لهم ، ولا أم ترضعهم صمتها وحزنها ورحمتها .. كانت تحاول أن تأكلهم ... وكانوا يهربون مرتعبين ، لاحامي ولا يقين إلا الهروب من الموت .. وفي لحظات هروبهم كانوا يرددون إلى أحزانهم القديمة وأحلامهم البراقة ، إلى تلك الحلقة ؛ حيث أب يدور حولها يصرخ: "وأنا أبوكم لآكلكم". وهم خلف أم يتصارخون تدغدغهم الرهبة ، يأملون أن تنقذهم ؛ يرونها تعترضه صارخة محلقة الذراعين، تصرخ: "وأنا أمكم لأحميكم".

- وأنا أبوكم لآكلكم .

- وأنا أمكم لأحميكم .

- وأنا أبوكم لآكلكم .

- وأنا أمكم لأحميكم ...".

٣. الضياع من الصفر :

هذه القشة لم تقبع على خاصرتي إلا لأنها تحمل الشؤم .. وهذه الحكاية الأسطورية لم أسمعها إلا لأنها تقول لي : " عليك أن تحذر كل الأشياء المحيطة بك ، فأنت القشة المضطهدة ."

أنا مثل القشة ؛ كلانا في مهب الريح . وهذه القشة لا تنفك تبكي بين لحظة وأخرى ، وعلي أن أمسح دموعها ، لأنها يجب ألا تسيل في غير أوقاتها .. إن هذه الابتسامة الغبية لا تحمل أكثر من مسحة عابرة تتوكل على مصيبة جارحة .. وهذه الفكرة التفاؤلية المشلولة هي طريقي نحو أرض خراب بور ؛ لأن السير في شوارع بدايات أغلال المدينة المحاصرة هو فعل موتي واختزالات هلاكي عندما أمارس وعي الحياة ..

لا تقرب هذه الشجرة الخضراء لأن عشقها يدخلك في عالم يتشكل من الرؤى المظلمة أوفي أزمنة انهيارات خرائبك .. لا تزرع شجرا ، أو ترعى كلمة خصب .. كل ، واشرب ، ونم ، ومارس كل هذا على راحتك في ابتذال أو كما تشاء من القهر .. هذا خط يجب أن تسير عليه ، وعليك أن تفقد خطواتك حتى لا تنزاح هنا أو هناك ..

التخريف الأسطوري يصبح دائرة مشعة في ثنايا أوراق البيضاء المسوخة بالحبر الرملي لا بالقراء .. والمواصف المدمرة تفتك بكيانات هذه المدن المستباحة ... فالحروب تأخذ الرؤوس والأطراف وبقايا الجلود وتمزق الأوراق . انهيارات رمالي ، واشتعالات أعقاب السجائر ، والفضائح تفتت جسدي ، وهي طريقي إلى الموت . لم تعد ثقافتي غير أنابيب الورق التي تحرق في نفايات المساء وقيء الصباح

وتذرى في الرياح .. هذه الرواية رواية زحام الخريف المتآكل المقيت ،
وهذه القصة قصة ابن الرومي المتشائم ، وتلك هي حكاية يؤس النعمان
وفرحة ، وذلك بساط الريح يحلق في أدمغتنا المشتعلة بالخيال ، وثمة
أرض عراء تنزاح إلى أعماق الغياب المخيف ، وهذا رجل يمتلي الهرم
يتصارخ بلغة بذيئة ونحن نصفق .. ، وها هم الفقراء التعساء الذين ما
زالوا يتأملون خبزا يأتيهم من وراء عقد "معاهدة" مشبوهة نظرت
لخيراتها الصحف .. آه عليك يا أشلائي المستباحة في
قممات لا تنتهي إلى حلول مجدية .. إنه الضياع من الصفر !! .

- وأنا أمكم لأحميكم ..

- وأنا أبوكم لآكلكم ...

٤. هذيان:

كانت شوارعى في المدينة الراكدة مليئة بالآباء . وكان وجه أمى
الرملى وحيدا صامتا ، ينقع الرمل بالحنظل ، فأكل ، وأشرب ، وأحبر
قلمى وأجزائى المبعثرة فوق جبال سبعة .. هذه الجبال توالدت هي
الأخرى حتى أضحت فوق المائة أو الألف من الأحزان العالية الباحثة
عن خطوط بيضاء .. ثم فجأة تعالت صرخاتى ، وكأنى لم أسمع غير
نفسى ، فيعود صوتى خافتا مرتعبا ، لا صوت ينفجر فى الهذيان
سوى صوتى وحيدا فى فيافى تيه جسدى ، ولا أشياء تملأ الخبرة

غير أوراق ساذجة للصبايا وارتعاشات لبقايا حياة ممرأة من الذنوب أو
مكسوة بكل الذنوب الصغيرة التي تعدم وهي متشبثة بالبقاء ...

- وأنا أبوكم لآكلكم ، وأنا أبوكم لآكلكم ، وأنا أبوكم
لآكلكم ، وأنا أبوكم لآكلكم ...

- يا أمتنا الغولة .. هيا فاحميننا ، وابني لنا سدا ؛ الشريطينا ،
واهدي لنا حبا ؛ يسقي ويروينا ، يا أمتنا الغولة ..

لكل الأحياء الضائعة في الشتاء أصواتنا ، ولكل الأحزان الباحثة
عن الدفء صرخاتنا .. أين أصوات " محمد الشاطر " و أحزان " نص
نصيص " ، و " عودة جبينة " ؟! .. أين نهايات أفعال الخوف وأحزان
تتوالد في خيالات حكاياتنا ؟! .. وما زال الأب يصرخ ويصرخ
ويصرخ .. وبين فكيه بقايا لحمنا : " وأنا أبوكم لآكلكم " ... ولم تكن
اللعبة نفسها التي لعبناها صفارا ... ؛ لأن أمتنا كما تهيأ لنا
كانت قوية ، وكانت تنتصر في لعبة حياة ساذجة فتفرح أحزاننا ..

قال عمر المنقوشي في يوم ما نكتة لم تضحكنا ، بل لم
نطمئن إلى مجرد طرحها إطلاقا ؛ لأنها ليست لعبة رمل ، ولا
لعبة صفار .. وإن بدأها بوعي الطفولة !!

قال : ما رأيكم لو نلعب لعبة أمتنا و "أبونا " الغول ؟!

- بالك فايق ورايق ، وربما خالي الوفاض من الأشغال !!

- نلعبها على الورق !
 - كيف ؟
 - أبونا الغرب ، وأمنا الشرق !!
 - لعبة مكشوفة !
 - نلعبها كي نقضي وقتا في الهباء!
 - غير ممتعة !
 - جربوا!
 - لا فائدة من التجريب !
 - لن نخسروا شيئا !
 - لن نربح شيئا !
 - على راحتكم...!!
- وانزاح عمر المنقوشي نحو الباب هاربا من بلادتنا ..وانزحنا إلى أعماقنا ... وكان زيد العامر أكثرنا صمتا، وربما أكثرنا حزنا .. وهو هنا غالبا ما يكون شكله مزعجا لكل الذين حوله ، لأنه لا يستطيع مد جسور الانفتاح بينه وبين الآخرين ، فلا أذكره مبتسما إلا في حالات نادرة ، وخاصة عندما يروي قصة هروبه من سائق "التاكسي" الذي أخرج له العصا الطويلة ؛ليضربه بها بـمـد أن

ماحه في الكلام .. كان، يضحك أو يبتسم ، ويعلق : " في هذه
الحادثة فقط تيقنت كيف يكون الهروب ثلثي المراحل ."
وما أن جاءت الغولة حتى تفرقنا ...

٥. ورقة :

مرحبا يا ناس

مرحبا يا قوم

يا عالم

يا هي ..

أنا أنا جذر

وأنتم ريش ...

٦. كابوس :

في تلك الليلة ، وبعد أن أكل زيد العامر فتة الرمل
بالسياسة ، نام نوما عميقا ، فجاءته أرجوحة الأحلام تخفق داكنة
فائرة بالارتعاب والموت ، أرجحته بين الحياة والموت في كل
الاتجاهات حتى جف ريقه ، فهب من نومه هبة الصلوك من مكمته
المفضوح ، وسار جريا نحو الزير ليشرب الماء مع بقايا الرمل ، لكن
الجدار صك جبهته ، فقليل إنه مات ، وقيل ، وهو الأرجح ، إنه
تحسس آلامه فكان ريقه الهارب في الجفاف أكثر أهمية ، لذلك

شرب الماء، وعاد إلى فراشه، ف قيل إنه مات ، وقيل إنه استغرق في نوم عميق بعد أن دعا بالستر وحسن الخاتمة".

"اللهم اجعله خيرا .. اللهم لا نسألك رد القضاء ، ولكن نسألك اللطف فيه .."

وقيل إنه فتح المذيع الذي لم يعد فيه غير الطنين ، أو إنه أقفله ..

كان يا ماكان ..

كان هناك " الرجل الطفل" ..

كان يسير في الحواري القديمة هاربا ، وكان الرمل هو الشيء الوحيد في حلقه ..

وكانوا غولات .. وكانوا عابسين...

وكانوا ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة .. أكثر فأكثر يجرون خلفه ، أشكالهم مرعبة ، كأنهم عادوا من تحت أرض آسنة ، نامت بها الضباع طويلا ، بعد أن أكلتهم قسريا .. وها هم عادوا ليأكلوا لحوم الأحياء .. فذكرته أشكالهم بالزومبيات في ذلك الفيلم المرعب الذي حضره قبل ثلاث سنوات ..

كانوا يتصارخون وهم يتراخون خلفه :

" لا نريد قتلك يا زيد العامر ، نريدك أن تكون معنا ، توقف يا زيد العامر ... توقف يا زيد العامر .. توقف يا زيد العامر .. " .

جری ثم جرى حتى انقطع نفسه . إنه يحاربهم عندما يهرب ، لكنهم لا يموتون من التعب .. هو يجري ويهرب حتى بدت عظامه تتحول إلى كثران من الرمل ، وأطرافه المحسوسة إلى سبخات جافة ، وكان حيا .. وكان شجاعا .. وكان طفلا .. وكان كل الخوف !!

" لن أتوقف يا أكلة لحوم البشر ، لن أتوقف أبدا . أنا زيد العامر .. لقد حفظت اسمي عن ظهر قلب بعد أن حفظت طفولتي : (ضرب زيد عمرا) " .

كان زيد وحيدا ، وكانت أرضه غريبة ، وتنبع من أشكالهم الديدان والحشرات وكل المآسي ، ولا نصير لك إلا الله يا زيد العامر ، ثم قدما تهربان .. لن أموت بهذه البساطة !! لن آكل اللحوم البشرية .. أنا زيد العامر رغم أنوفهم ... وسأبقى حيا !! .

حمل الحجارة " الكتيرية " فألقاها نحوهم في شبه توجع وارتجال ، لكن أحدا منهم لم يمت ... هرب أكثر فأكثر . كلت قدماه فكاد أن يتوقف عن الجري . حمل الحجارة الصلدة فرمى . نظر إليهم فرآهم أبشع مما تصوره من الخوف . عاد له نفسه فهرب ، ثم وهو يجري فكر إلى متى سيبقى هاربا ؟ ! إنه لم يحمل مسدسا يوما ما ،

ولم يعرف كيف يستعمل السلاح قط. لكنه في تلك اللحظة الوحيدة سحب المسدس من خاصرته، فأطلق النار في أجسادهم .. لكنهم لم يموتوا !! جرى وهرب ... وبعد مشقة وإرهاصات من الضياع عرف كيف يقتلهم : عليك يا زيد العامر ألا تضع رصاصاتك هباء منثورا، يجب أن تطلقها إلى رؤوسهم ، وحينها سيحترقون فيموتون .. وهكذا فعل .. تعوقوا في بعض موتهم فشرب الرمل منقوعا بنفسه الذي بدأ يعود إليه .. لقد انتصر زيد العامر ، إنه يرضع الآن من ماء وجه أمه ، وينام .. إنه الآن ينتصر في أحلامه ؛ وأحلامه نوافذ مشرعة تفضي به إلى طقطقات الواقع ، وحكايات البحارة على أوجه الشواطئ، وهم ينتصرون على الحيتان ..

٧. الخامسة صباحا :

- زيد زيد زيد زيد.

- من ؟!

- قم ، نحن هنا .

- لا أريد أن أقوم .

- زيد زيد زيد زيد .

- من ؟!

- نحن .

- ماذا تريدون ؟!
- أن نشرب القهوة .
- لا يوجد عندي قهوة.
- نريدك أن تخرج صاحبك عمر المنقوشي ويوسف الشعبان من البيت حتى تنتهي مهمتنا معك .
- أخرجوهم أنتم .
- لا نريدهم أن يعرفوا شيئا ، نريدك أن تظهرنا أمامهم كأصدقاء.
- إنهم في الغرفة المجاورة ، ولن يعرفوا ما يجري هنا .
- خارج البيت ، وإلا سنحقق معهم ، ونورطهم ..
- طلب منهما أن يخرججا ، فخرججا إلى الشوارع الفسيحة الخالية من المارة فجرا .
- كانوا ثلاثة وزيد العامر أسيرهم . فتشوا البيت . مكثوا ساعتين .
- ركبوا السيارة ، وكانت هذه المرة الأولى التي يركب فيها زيد العامر سيارة فخمة تخط مسلكا محددا واضحا في الشوارع المثلثة بنعاس عمال الصباح ..

حدثوه في البداية عن الراحة عندما يصبح واحدا منهم "لك راتب .. تستطيع القفز على السلم .. المكانة محفوظة .. الفرص المكلفة بالورود والرياحين تنتظرك .. أنت رجلنا أينما تحل ..".

قال : لا أريد أن أكل لحوم البشر .
اسودت وجوههم ، وأمروا أن تطبق عليه كل الإجراءات المقدسة في قبور العصاة .. فهبت زوابعهم تقتلع سفائنه من جذورها .. وكان يصر على الوصول إلى الشاطئ حيا عندما تنتصر إرادته على الهزيمة ..

٨. من مذكرة الطريق :

قالوا له : ودع الناس ، ودع الشوارع المليئة بالنساء ، ودع المطاعم اللذيذة ..

رد عليهم ببرودة ليل الصحراء : لا شيء جميل هنا .

- ستأكل اللحوم المجمدة .

- ستبقى أفضل من الفول والفلافل .

- سيهجم عليك الجرب والقمل .

- هذا أفضل من أكل لحوم البشر .

- ستمفن !!

- أحب إلي من تمفن طفولتي !!

- أنت حيوان بليد، وسترى كيف تجعلك المعصي " بني آدم".

- أكل العصي أهون من عدها .

- ماذا تقصد .

- لا شيء .

كانت مذكرة الطريق مبللة بالماء ، وكان الرمل متآكلا ، فلم تعد الصفحات المتبقية تفضي إلى كلام واضح أو مقروء ..

٩. السجن :

في نهايات السكون والموت كان زيد العامر مسكونا بالهدوء والذكريات الحزينة المرة .. وكان رأسه حديدا كما قالوا عنه في إحدى وثائقهم السرية ..

قال له : زوجتي طالق طالق بالثلاث إذا جعلتك تخرج من هنا قبل عشر سنوات تقضيها في العفن .. هناك يفعلون كل شيء (نساء ، رقص ، خمر ، ..) وأنت هنا وحدك كالجيفة تدفع الثمن .. بإمكانك أن تصبح واحدا منا .. ما زال العرض ساري المفعول .. وافق وستخرج من هنا قبل أن تبلع ريقك ، وستعوض عن أتعابك وفي إحدى المرات الغاضبة أو العاصفة الهوجاء قال في هذر شديد : سنفعل بك كذا وكذا وكذا وكذا وكذا وكذا وكذا وكذا وكذا وكذا... قال زيد العامر ببرودة أعصاب : لن أكل لحوم البشر.. قد تطلق سراحي الآن، وعندما أصل الشارع العام قد تأتي

سيارة مسرعة فتمسح جسدي بالإسفلت .. حينها ماذا أستفيد من أكل
لحوم البشر !!؟

عقب: هذه أحسن طريقة لتصفيتك؛ أن تموت تحت عجلات الشاحنة !!
جاء في نهاية المطاف بعد سنين عجاف ، وهو يبتسم له ،
قائلا " ألا تطمح بوظيفة في التلفزيون .. وجهك وجه تلفزيوني؟".

- هل هذه هي الرشوة ؟! .. إنني لا أفكر بالعمل إطلاقا .
خرج زيد العامر ، سار في الشوارع وحيدا .. قال له الناس الذين
يعرفونه " يجب أن تفكر قبل أن تحمل السلم بالعرض ".
كانت السنوات العشر التي مرت عليه قاسية كريح
صرصر .. !!

وأمسى يصرخ في داخله :
- مرحبا يا ناس .. مرحبا يا قوم .. يا عالم يا هي ..
أنا أنا جذر ، وأنتم ريش !!

١٠. اضطهاد :

حجزوا وثيقته ، منعه من العمل ...
اعتقلوه مرة بتهمة مدنية ، وأخرى بتهمة عسكرية ، وثالثة
بتهمة أمنية ، وفي الرابعة أعلنوا وفاته إثر نوبة قلبية حادة مفاجئة
سياسية .. ودفنوه في مقبرة بعيدة ، لم يعرف مكانها قط .

وعلى انفراد صبوا له الرمل مخلوطا بكلماته الزرقاء، ينام تحت الرمل وفوق الرمل، لا يشعر بالبرودة ، لأنه جاء من الرمل وعاد إليه...
كما كانوا يدعون أنه انتحر ..

لكنه فيما بعد ضاع ضيعته الأخيرة ، حيث كان الرمل سلسا ناعما، مما سهل لهيكله العظمي أن يخرج من تحت الرمل مرتين:
مرة عندما فاضت المقبرة بعد هطول أمطار غزيرة .

ومرة أخرى عندما حملت بقاياها لتلقى في الخرائب مع غيرها بعيدا عن جو المدينة الراكضة؛ إذ أضحت تلك المقبرة في وسط المدينة شاهدا على موت كئيب ، تتسرب إليها النفائات بوقار ...

هدموا المقبرة ، وأقاموا مكانها عمارة جميلة ...

فمات في موته !! .

مات في قبره !!

١١. أوراق :

هناك عدة أوراق تركها زيد العامر وراءه ، تورثها صديقه الوفي

يوسف الشعبان ..

لم تكن غير مذكرات متناثرة من هنا أو من هناك ...

هل ترك زيد العامر رواية ما ؟ أم أنه ترك سيرة ذاتية ؟

أم مذكرات تاريخية ؟ هذه أسئلة دارت في ذهني أنا عمر المنقوشي !!

قلت ليوسف الشعبان قبل عامين " من الأفضل أن تطبع أوراق
زيد العامر ، لقد مر على موته أكثر من عشر سنوات . وستصبح
الكارثة كبيرة إن ضاعت أوراقه كما ضاع هو ..
جثته تناثرت مع بقايا الرمل ، ربما شربتها الجرافات ممزوجة
بماء منفي من بقايا البيوت المهدامة ..

لم يكن في وجه يوسف الشعبان غير الصمت .. ثم قدم إلي ثلاث
كراسات مخطوطة بقلم زيد العامر ؛ الأولى بطلتها مومس اسمها " جمانة
المشرفي " ... والثانية بطلها " عوج بن عناق " البطل الأسطوري الذي أهم ما
فيه أنه كان يصيد الحوت من قاع البحر ، ويشرب الماء من الغيم ، لكنه
من خلال عنوان الكراسية " عوج بن عناق يدمن التبغ " يتقزم ويماني حالة
ضياح غريبة . والكراسية الثالثة والأخيرة عنوانها " تداعيات امرئ القيس
على متن صخرة " ولعل زيد العامر قنّع نفسه بهذه التسمية !!

وربما تقنّع أيضا بشخصيتي شعبية ، وعبد الله الوحشي !!
سأطلعكم على بعض أخبار زيد العامر مع ما في الكراسيات الثلاث ،
ولي رجاء أن تعذروني على الخلط بين الحكايات وتقطيعها في ثنايا هذا
الخطاب ..

- يا ناس .. يا قوم .. يا عالم يا هي .. أنا أنا جذر وأنتم ريش ...

- ٢ -

١٢. المرأة وردة :

- زيد العامر!! زيد العامر!! ولماذا تريدونني أن أتحدث عنه
الآن؟! هو مات ، كما تقولون ، والفات مات . اتركوه في الرمل يعيش
عشقه . لا تحرقوا ماضيه فتحرقوا سيوفه .

وردة السلمون : يشع من عينيها سواد الخصب ، وخصب البياض
 الممتلئ بارتدادات الأحزان الباحثة عن الفرح في الآتي ... متزوجة
 ولديها أربعة أطفال . سمت ابنتها البكر ، وهي في العاشرة من
 عمرها ، لقاء . ولعل الشيء المهم المرتب له مسبقا هو اسم ابنها
 الأول " زيد " . هل عادت من خلاله إلى ذكرياتها مع زيد العامر ؟!
 وسؤالها عن ذلك أمر في غاية الإحراج ، لذلك فضلت الصمت فيما
 يخص هذا الجانب من حياتها .. وبكل تأكيد لا يوجد تشابه بين
 الصغير زيد السلمون وبين " المرحوم " زيد العامر .

ربما أحبها زيد العامر حتى الجنون ، وربما أحبته مثل ذلك .
 تركها ، فتركته ، أو تركته فتركها .. سيان . غابت أمسياته
 العاطفية فمات وحيدا ، ولم يبق علاقة أخرى مع غير وردة ؛ كما
 تدعي وردة ذلك في إحدى مقولاتها ..

- زيد لم يحب امرأة غيري ، أنا متأكدة من ذلك . المهم أنني
 لم أكن متأكدة من حبه لي . كنت معه في قلق دائم ؛ وخاصة حول
 كيفية نهاية العلاقة بيننا .

تركته وردة لأنها لم تكن على استعداد واضح كي تربط مصيرها
 بمصير بطل خرافي فاشل اجتماعيا ، ارتبط بذهنها بصورة الدون
 كيشوت ، لذلك تزوجت في اللحظة الأولى التي اصدمت فيها بيد عريس

موسر ؛ يملك بيتا مؤثثا على الطراز الحديث ، وتعهّد بأن يشتري لها سيارة خاصة في حال الموافقة النهائية على الزواج منه ، لتكون السيارة هدية عقد الزواج ... وبعد أسبوعين أصبحت وردة السلمون تملك بيتا واسعا ، وسيارة حمراء متوسطة الجمال ، وعريسا برتبة مقدم ، لا تلبث تتحدث عن فضائله وبخاصة أنه لا يتصرف بطريقة عسكرية في بيته ، كما أنه يتمتع برصانة وأناقة جيدتين..

لم تكن وردة السلمون جميلة ، لكنها أنيقة وراقية ، وأقرب إلى القصيرة ، كما أنها أقرب إلى السمينة ... أما لماذا اختارها زيد العامر لتكون مقربة منه طوال سنوات ، فهذا أمر غير معروف ، رغم أنه لم يعطها أملا واحدا لإمكانية الزواج ، لم يطرح الزواج في جلساته معها مطلقا ، كما تأكد لي من متابعة أخباره ، وخاصة ما رواه بنفسه عن علاقته بوردة عبد الفتاح التي أصبحت بعد زواجها تحمل اسم السلمون .

إن أسرار زيد العامر التي دفنت معه كانت كثيرة ...!!

١٣. حب :

أحبيته فجأة . وربما بسبب كثرة اللواتي كن يتمنين أن يقمن علاقة معه ، وكانت معرفته بي عابرة جدا . طلبت من عمر النقوشي

أن يدفعه إلى لقائي ، الساعة العاشرة في طرف السوق من الجهة الغربية ، فهناك تكون الأجواء سانحة للحديث بعض الوقت ..

جاءني ممدود القامة ، شاحب الوجه ، زائغ البصر . كان مبعثرا ، فندمت على قراري المتسرع ، وربما شعرت حينها أنه لا يستحق الاهتمام الموجه نحوه من الأخريات ومني بالتحديد ، لكنني كسرت نظري نحو الأرض عندما اقترب مني!!.

وقال من غير أن أرى وجهه :

ماذا تريد مني !!

لم أعرف كيف أرد عليه ، لكنني من خلال نظرة سريعة إلى وجهه قلت :

لا شيء .

- ولماذا طلبت مني أن أحضر ؟!

- إذا كنت تريد أن تذهب فمع السلامة !!

توقف صامتا.. لم يذهب . بدأ الأنس يعود إليه متدرجا . نظرت في

عينيه ، قال لي:

أعرف أنك تطلبين المستحيل مني . تأكدي أن كل الأشياء القبيحة التي تجري في هذه الخبرة من قريب أو من بعيد لم تعد تهمني ،

كما أنه ليس من المعقول أن أحب وسط هذه الفوضى ، والكارثة أن أحب فتاة بورجوازية مثلك؛ حتى وإن كانت بورجوازيته فكرية .

- ومن قال لك إنني طلبتك لتحبني أو أحبك ؟!!!!

- لم يقل أحد ، لكن المكتوب يقرأ من عنوانه !!

- أخطأت قراءة المكتوب . أنا طلبت أن ألتقي بك لأخبرك أنهم

يخططون لاختطافك وضربك ضربا مبرحا .

- وكيف عرفت ؟!

- بالمصادفة من إحدى الفتيات العاملات معهم.

حينها بدأت لعبة الحب ، وكتبنا بعد اللقاء العاشر كما يفعل

المراهقون حرفي الكلمة ، كتبت الحاء ، وكتب هو الباء ..وكان

الشقاء !!

كان زيد العامر هو الهارب من حبي ، أو من حبنا . كان يضطهد

نفسه ، يعاقبها ، يكره الآخرين ، يحمل السلم بالمرض ، يحلم

بالوطن الديمقراطي ، بالثالية ، يهتف للموت ليتخلص من عيشة

آسنة . كنت أطلب منه أن يهذي بالحب ، فيهذي بخبز الفقراء ،

وثورة الزنج ، وجيفارا ، وأطفال الحجارة ..!!

١٤. زواج عكسي :

تركته . هربت منه في أسوأ لحظات حياته .. قررت أن أدوس عواطفي ؛ أن أتزوج ، إلى الجحيم يا زيد العامر ، إلى الجحيم أيها الحصان الخاسر ، سأنتقم من أخلاقك البذيئة ، قل كل الحب أو قل شيئاً من ذلك . قبلني مرة واحدة ... صرخت في وجهه سأتزوج بعد أسبوعين ، فانتفض وجش صوته ، وقال :

أنت واهمة إذا اعتقدت بأن مثلي سيتزوج قبيحة مثلك ، بورجوازية غبية . كان عليك أن تتزوجي منذ زمن تيساغيبا مثلك ، تطبخين له الكرش ، وتلدين الخراف ، ويكون ثمنك سيارة ، وفي الصباح تتقيئين من كرشه المتضخم .

بكيث ، ضحكت ، ثم قلت له :

أتمنى أن تجد ما تناسبك ، تحملك مع هموم عالمك القذر على ظهرها المكسور .. وحينها لن تكون إلا شيطانة .

كان صديقه عمر المنقوشي متألماً لما حصل بيننا ، لكنه كان يؤمن

بعدم صلاحية صديقه للزواج من أية امرأة ، كان يقول :

آخرتها أن يموت قبل أوانه ؛ كأن تدوسه إحدى السيارات

الفارحة.

إن زيد العامر يستحق الشتيمة ؛ فلقد رآني مرة بعد انتهاء
العلاقة معه أجلس مع عمر المنقوشي فطال لسانه البذيء ، وقال
باستهتار :

وأخيرا وجدت فارس الفرسان ؛ المنقوشي أبو زيد الهلالي ،
تتركبني لأجل هذا القميء ، افرح يا عمر ، لقد وجدت أخيرا امرأة
مكسورة فاشلة قادرة على أن تهتم بك ” الحردون والمرأة
الطموحة ” عنوان قصة موح .. عجيب أمر هذه الدنيا ، إنها تحفل
بكل الأشياء السخيفة رغما عنا .

لم يتوقع عمر هذا الهجوم من زيد . بقي صامتا ، وامتنع وجهه
بالنار الحمراء ، حاولت أن أسحب زيد العامر من يده حتى لا
يتشابكا . لم يستجب ، فانسحب المنقوشي وهو أكثر صمتا ، وبقي
زيد العامر يتوهج بالنصر .. بعد أن انسحبت ، والفرح يتدفق في
داخلي ، إذ سررت لغضبه ، لغيرته ، رأيته آنذاك يحبني رغما عن
أنفه ، ويا ليتته انسحب قبل انسحابي ، لكنه لحق بي وأسمعني
الذكرى التي مازالت تعلق بدمي . إذ قال متوهجا :

اسمعي يا آنسة أنت خاطئة إذا اعتقدت بأنك أنت التي قتلت
العلاقة بيننا حتى تبحثني عن غيري .. أنا من تركك !! أنت لا
تستحقين وريدا من قلبي ... ولن تصلحي أن تكوني زوجة ، هناك

فتاة أخرى في حياتي ستكون زوجتي . يجب أن تفهمي ذلك .
الشيء الوحيد الذي ندمت عليه هو أنني تركتك تنعمين بالسلامة ..
فتاة بورجوازية تتماهى !! ومع من ؟! مع عمر النقوشي !! لم يبق
في الخم غير النقوشي حتى تثيري أعصابي عن طريقه . هزلت .. إلى
الجحيم ، أنت وهو .. لقد أصبحت أضحوكة ، كلهم يمشفون سيرتك بعد
أن تركك زيد العامر. تزوجي النقوشي !! صحة وعافية!! مارسي
حلمك البذيء!!.

انسحب بعد أن دمر كل شيء ، وأحرق بقية الرماد . أصبح
حتودا كالجمال. في داخله الغضب ، ولا يتولد منه غير الموت ...
بكيت كثيرا . تحسرت كثيرا . أردته صديقا بعد ضياع الحب. لم
أكن أبحث عن الخسارة . قاطعته رغم رؤيتي له يوميا طوال أربعة
أشهر، وهو لم يتحدث معي ، حاولت مرة أن أعترضه ، فأشاح
بوجهه ومضى . تزوجت خالد السلمون ، ولم أعد أراه . رأيته مرة
واحدة بعد ثلاث سنوات من زواجي ؛ كان يمشي في الشارع العام ،
هائما أو منشغلا . رأيته أنا متأكدة من ذلك ورأى سيارتي الحمراء ،
لكنه فجأة غاب في الحوار ، ولم يعد يظهر منه غير خيط
السراب ، يسير نحو القفار ، باحثا عن شيء يعرفه موعلا في
الخلاء ، ولا أحسبه إلا على هذا النحو من الاغتراب والبحث ..

لم تكن وردة السلمون مكتثرة كثيرا بموت زيد العامر . كان أكثر ما يشدها الحديث عن الماضي . ويبدو أن ابنها زيد مسمى على غير زيد العامر ، فهو كما يعرف من اسم السيد خالد زيد السلمون أنه سمي تكريما وإحياء لذكرى والده زيد السلمون .. وربما وافق شن طبقة في التسمية ..

10. رسالتان :

كتبت له بعد فراقنا رسالتين ، لم أوقع عليهما اسمي ، وجعلت الخط مختلفا عن خطي المهود لديه ، وأكثر من إشارات التمويه . قلت في الرسالة الأولى كلاما كثيرا ، لا أذكر الآن بالضبط ماذا قلت . دعوته إلى الإيمان بالله ، وأن يترك الأفكار اليسارية التي تضر ولا تنفع ، وتمنيت له الشفاء العاجل بعد أن سمعت بأنهم أخذوه وأشبعوه ضربا ..

كشفت له في الرسالة الثانية عن حبي الكبير ، فقلت له : لن أنساك أبدا . وأنا سعيدة في حياتي الزوجية . وسوف أسمى ابني الأول على اسمك ، حتى أراك فيه ، ولا تغيب عني ذكراك . أرجوك أن تصلي ، لأن الشيء الوحيد الذي ينقصك هو أن تصلي لتدخل الجنة ...

قلت للسيدة وردة السلمون :

إن زيد العامر حدثني عن رسالتين وصلتا إليه من مجهولة أو من مجهول . لكنه بعد أن قرأهما تأكد من وجود خير يتدفق منهما ، وأنهما قدمتا من امرأة زاهدة ، وقد عجز عن الوصول إلى صاحبة الخطرغم إيمانه بأن روحك هي التي تنفث الوعظ والخوف ، وأن الكلام لا يمكن أن يأتي من فراغ ؛ هو من امرأة مجربة ويائسة . ومؤخرا أصبح يميل إلى أن تكون الكاتبة واحدة اسمها " سارة العكش" . ربما تعرفينها . كان يظن أنها تحبه حبا من طرف واحد ، وربما بسبب معرفتها ما بينك وبينه قررت أن تكون بعيدة ..وقد تأكد له ذلك عندما جاءتته سارة العكش في يوم من الأيام بعد انقطاع العلاقة بينكما ، وقالت له :

إن وردة لم تكن تصلح لك في الأصل ، لأنها كاذبة في حبها ، أنا أعرف بيتهم ؛ وهي تحب ابن الجيران من الثانوية ، وما زالت تحبه . ولا أعرف كيف تستطيع واحدة غبية الجمع بين اثنين في قلبها في آن واحد ؛ الأول في الحارة ، والثاني في السوق !! وعلى أي شيء ؟!! على جمالها الميت!! أو على مالها الكاحت !! لا مال ولا جمال !! عكسي تماما : مال وجمال ، لكن ما في نظرا!!

لم يعلق زيد العامر إلا بكلمتين هما : " المهم النهاية " ...

كان يدرك بأن سارة العكش تحاول الصيد في الماء العكر .. كان خط الرسالتين أقرب إلى خطها .. ربما اعتقد بأنك جعلت سارة العكش تكتب الرسالتين بناء على اتفاق بينكما ، وربما شك في أن تكوني أنت من بعثها لتقول له ما قالت .. بمعنى أن تكوني أنت من دفعها إلى تشويه سمعتك .. لم ينكر أنه كان يحبك ، لكن الظروف كانت ضده .

وعندما حاول أن يعود إلى الرسالتين بعد عدة شهور ليعيد قراءتهما ، كما قال لي ، لم يجدهما ، وكأنه توقع حينها أنهم أخذوهما مع أوراق أخرى أثناء الحملات المفاجئة لتفتيش بيته ..
حن كثيرا .. ولم تبق غير الذكرى !! .

١٦. بكاء :

لا أنكر أنني أحببت زيد العامر ، وأنني لن أنسى حبه . صحيح أنني كذبت عليه مرة عندما قلت له بأنني أحب ابن خالتي ، وأنه تقدم لخطبتي . نعم قلت ذلك عندما حاولت الدفاع عن كرامتي . كان يؤلني عندما أسأله عن أهم شيء سيفعله بعد أن تستقر أوضاعه ، يقول : " سأدخل السجن " . وعندما أهديته قلم الحبر المذهب ، قال " سأخذه لألقيه في سلة المهملات ، لأنه ليس من المعقول أن

يحمل زيد العامر قلما مذهبا .، وما أن حاولت أن أسترجمه منه، حتى رفض، وعلق قائلا: " لا أريده من ضمن أملاك حبيبتي ". إنه جنون ، نرجسي ، معتوه ، مريض بعقد كثيرة ... الحياة جحيم معه؛ هكذا صورتها ، لكنني لم أحب غيره ، ومات من حياتي إلا ليبقى .

ولما بدأت وردة السلمون ، في الأربعين من عمرها ، تهذي بخصوص جنون زيد العامر ، وعشقها المكبل له ، حتى صاح الديك ليعلن بداية الفجر ، فطلبت منها أن تصمت عن الكلام غير المباح ، وذلك لأجل مساء آخر ، تمودين فيه إلى الحكاية منذ البداية ..

حبر هذه الأوراق ، وراجمها يوسف الشعبان بعد سنوات من غياب زيد العامر ...

- ٣ -

١٧. مرثية سيد الخربة

بقلم : عمر المنقوشي

هناك قتل زيد العامر بعد أن شيبوه ...

وهناك دفن جثمانه ...

عرفت أنه مات . ولكن الخبرة بحجم الفاجعة ، وجبالها متناثية
متعالية ضيقة الشوارع والأزقة ، فأين أبحث عنه ؟!!
أين أجد ذلك الشاهد الذي ربما نقش عليه بخط متعرج معوج :
"الفتاحة على روح زيد العامر . تاريخ الوفاة ..؟"

[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم .
الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك
نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت
عليهم . غير المغضوب عليهم . ولا الضالين . آمين . صدق الله
العظيم].

أيتها الشوارع المكسورة : أين زيد العامر ؟ أين تلك المساحة البيضاء
المرسومة كعنق الزجاجة على الجهة العلوية من مساحة الصدر
اليسرى تطل علينا من نافذتين مشرعتين مكسورتين ...!!

هنا مشينا، وهنا تحدثنا، وهنا توقفنا ومازحنا بائع الجرائد .

وهنا شربنا القهوة المرة، وهنا التقينا مصادفة.

وهنا نظرنا إلى فتاة جميلة وتهامسنا : " شوف عينك حظ

غيرك"، وهنا أذكر بالضبط ما قاله زيد العامر : "أنا لا أحب

الوداع. لن أودعك . فقط أصافحك ، وأقول لك إلى اللقاء مصادفة."

يا بشر يا ناس يا عالم يا هو ، أين زيد العامر ؟! كيف قتلت
أعوامه المتبقية ؟! وكيف اضطهدوه ببساطة ؟!! اللعنة على ذلك
الجبل حيث سكن !! اللعنة على الخبرة كلها !!
كيف قتلوه ؟!

زيد العامر مات أو استشهد سيان !!..

إن الخبرة عقتك لأنك تولهت بشوارعها الضيقة فعشقت فقراءها ،
وضاجعت مقاهيها الراكدة على صمت الأحزان وأنت تبحث عن
حبك.. وماذا فعلت لك هذه المتصايبة التي عشقت غيرك ؟!!
أجلوك فأجلوك ثم أجلوك وأجلوك ، وفي المرة الأخيرة حددوا الموعد
بعد شهرين ، ولم تنتظر غير ساعتين حيث تعثرت ، وساعتين
آخرين ليدفنوك وفي قلبك حسرة الوحشة والرعب ، ولم تكتب وصيتك
الأخيرة حتى لا تكون النهاية ..

آه على أرض عاصية ، أشبعتك رعبا عندما هجرتك ، وتركتك تموت
وحيدا ، هكذا في لحظة كئيبة ... وكنت تراها دوما تحاصرك حتى
الشمالة .. وتحبها ...!!

هل شربت القهوة قبل الرحيل؟! أم تركتها حتى لا تكون
السبب في قتلك، فتندم على ما فعلت؟! لا أظنك قد نسيت قرص
العلاج!!

أواه أواه عليك يا زيد العامر!!

هل قلت نكتة مرة كطعم الحنظل الذي أثمر قبل يومين من طلوع
شمس ذلك اليوم المليء بالاكتماب.. ماذا حدث لك في تلك
الظهيرة؟! أو قبيل الظهيرة في تلك المساحة الفضاء الباكية
"الضحى".. هل صلوا عليك زمن العصر أم زمن الظهيرة؟! وماذا
فعلوا بك ولك!!

- وحدوا الله ..

- لا إله إلا الله .

- كل من عليها فان إلا وجه ربك ذي الجلال والإكرام ..

ربما قالوا : مات .

وربما قالوا: غاب .

وربما قالوا : رحم الله ذاك الذي فقدته أمه وحيدا ، وتركته
حبيبته وحيدا ...

مات وحيدا متوشحا حزنه وحزن التجرد من كل الإناث قبل
انسداد الشريان بقشة الدماء المخثرة ..

- وحدوا الله ..

- لا إله إلا الله .

- يا زيد لا تكن حساسا إلى درجة السلبية ، أنت واحد من آلاف
توجههم أمراضهم القلبية، وعاشوا مع حسرات القلوب التي لم
تمنهم من أن يحبوا ويتزوجوا .. ألا يوجد في حياتك فتاة ...؟؟!
- لا أريد أن أظلمها .

- قل لها حالتك من البداية . لا تقبل بأية فتاة . لا تقيد روحك
بقيود قلبك .

- قلب وفقر !!

- يا زيد هناك من هن يمشقن الفقر الشريف .. وقلوبنا كلها
حزينة .

صمت .. ثم قال : هيا إلى المقهى . دع عنك هذا الأمر ، فأنا مثل
المتشائل !!.

كان زيد طفلاً صغيراً بحجم الكرة الصغيرة عندما حدثته عن حبه المودع . وربما كان قلبه ينبض بالخوف الممزوج بحسرات الحزن . وكان كل شيء فيه يئن بين الحياة والموت . ولم أكن غير صوت يحاول أن يقطع جذور أساطير لم تكن غير جذور حقيقة الموت القريب .

كان قتله .. كان رحيله .. وكان أنين قبره من غياب امرأة ما تبكي حوله ، وتنفت في نفس البقاء المزروع في أرض تزهر عاماً بعد عام عندما يمتزج التراب مع الماء ، ونحن نطالعها من خلال نافذة مشرعة!! .

- وحدوا الله ..

- لا إله إلا الله .

لم يكن الجبل أطالاً .. لم يكن حومانة الدراج أو المتلثم .. إنه ساحرة تصرخ بكل الأحياء التعساء وتقول عند ولادة المواليد : أبشركم بموتهم بعد حين ...

كانت هناك سيدة عجوز تنام في الجبل ، إذ كانت أما رحيمة .. تختزلها غرفة صغيرة تنور الحي كله ، والشوارع كلها ، والمداخل الضيقة كلها . يا سيدة الأحياء المستباحة ، كيف ينام التراب فوق

الحزن؟؟!! وأين يحدث ذلك؟؟!! وأين الأحياء بعدما يصبحون أحياء
أو أمواتا بين القبور؟؟!! هل مات زيد العامر أم انتقل إلى
الحياة؟؟!! أين شردته زوايا الضياع أبتز لا أنيس ولا ونيس ، يتسول
على قارعات الطرق الحياة على ذمة الموت باكيا شريانه
المسدود؟؟!! أين أروقة الأيام المسلوقة من بين أنياب الموت ، حيث
الجبابرة يقتلون العشاق بنوبات المهج ، ويفتحون أبواب بيوتهم لكل
الداخلين والخارجين الذين يمتطون ثيابا معجونة بالروائح
التمينة...؟؟!! .

أصبح الجبل أطلالا وخرائب تنعق بها الغربان وتصح فيها
البوم.. والفقراء يوحدون الله ..

- وحدوا الله ...

- لا إله إلا الله .

زيد العامر أطيّب مخلوقات الله ... كان قلبه علتة في البيت
والمدرسة والجامعة والعمل وكل الشوارع ..
كانه غامر مغامرة كبيرة عندما عاش ما يزيد على الثلاثين !! كان
يموت في السنة الواحدة مئات المرات . لكن انتماءه كان فوق العادة ،

وكان صراخه أقل فأقل من العادة .. لم يكن عنده زيادة سوى خوفه الجديد من غدر قلبه بين لحظة وأخرى .

لقد بكى حبه لأن قلبه كان عدوه .

- يا زيد هناك ملايين مصابون في قلوبهم . وحد ربك ولا تيأس .
لا تكن سلبيا ، تفاعل .

خطبها ، تأجر بيتا ، أثث ، لكنها جاءت في ذلك الصباح الباهت لتقول له : يجب أن نفك الخطوبة ..

قبل الأمر صامتا ، وحينها خاف من قلبه حتى الثمالة .

قرر أن يفاخر ...

لم يصرخ . ربما صارع نفسه من أجل الرقود على السرير ليواجه القلب المفتوح . هذا هو الحل النهائي . لقد مل حكاية الانتظار ؛ بل مل قلبه من قلبه .

وعندما رجع من المراجعة الأخيرة تراكم اليأس وقرر قلبه ألا ينتظر شهرين ، فمات قهرا .. ولم ينفع الصبر على الصبر .

قتلوه تلك الظهيرة ، ودفنوه تلك الظهيرة ، وطلع عليه فجر الصباح ، وكان ديدنه التراب ولا شيء غير التراب والقدر ...!!

- هل اعتقلوك ؟

- استدعوني وطلبوا مني (...) ورفضت .
- وماذا أيضا ؟!
- أخذوا وثيقة سفري ، وقالوا : " المحتاج يدور على الثاني " .
- هم أدركوا الحكاية من البداية ...!!! .
- "عندما تقرر التوقيع ، راجعنا حينها نمطيك الوثيقة " .
- هل أعطوك وثيقتك قبل أن تموت ؟!!
- أم أنهم أحرقوها بعد موتك ندما على فراك لا حزننا عليك ؟ .
- أم أنهم لعنوا عرضهم المسفوح على جدرانهم السوداء
- البليدة ؟!!

هناك بطحوك تحت الثرى كصعلوك مجهول تاركا شوارع الخبرة
باردة لا ترحب بأقرانك الذين يصطفون على الدور الطويل ينتظرون أن
يمروا ، ولن يمروا إلا بعد أن يمر كل الذين يربحون قبل نومهم ،
وبعد صحوهم ، وربما يربحون في نومهم ؛ لأنهم حريصون على أن
يناموا وفي أيدهم أعقاب السيجار المهرب ..

ماذا تفعل الآن يا سيد التراب ، بل سيد الخبرة المستباحة ؟!!

هم الآن يشربون القهوة الحلوة خلف الستائر البيضاء
الثمينة. وأنت ترتدي الكفن وبقايا حزنك المتجمع في " جلطة " ترقد في
مساحة صغيرة من عروقتك الذائبة ...
نم يا سيد القراب ...
تلفح بحزنك ...
نم يا سيد البدايات المهملة ...
ودعنا نشرب قهوتك المرة ، ونقول فيك المراثي الحزينة ..
- وحدوا الله...
- لا إله إلا الله .
- الفاتحة على روح زيد العامر

- ٢ -

١٨. سايكس بيكو :

كان عمره عشر سنوات عندما قامت الحرب ، ويومها وبعد
نهايتها قال في نفسه : لم يتغير شيء في مأساتنا . هل ما حدث
أكذوبة ؟! كل شيء للاحتلال !! لم نسترجع شيئا ! ولكن لماذا
الطنطنة ؟!

وعندما كبر وأدرك حقيقة الأشياء قال : " إن كل ما حدث في تاريخنا الحديث هو لعبة في لعبة ؛ لعبة سايكس بيكو ، لعبة "الخطوة خطوة " ، لعبة خلق الظروف المناسبة لرسم التشكيلات المناسبة ؛ لعبة الأمم .. لكن كل عقدنا في الأصل جاءت من سايكس بيكو بلوتنا الكبرى ... الحوش الكبير الذي تجمع به رؤوسنا !!!

- يا عالم منذ أكثر من سبعين سنة وسايكس بيكو تمرغ أنوفنا في الرمل ؛ لم نفعل شيئا سوى الاستجابة بحرارة .. نصفق بحرارة. نساير الأشياء كلها المكتوبة بطريقة أو بأخرى منذ سنوات طويلة .. ونصفق للأسود والأبيض ، ولا نقول هذا رمادي يستحق أن نصفق لأجله .. إننا عاجزون ، وهم يفعلون كل شيء ، ونشتعل في التصفيق لمآسينا ...!!

كانت عقده الكبرى أن السياسة لعبة ... ماذا يعتقد عن نفسه ؟! هل هو معقد إلى هذه الدرجة من فقد الثقة بالذات ؟! أعتقد أنني وقفت أمام طفل مريض ؛ أمام رجل سانج ، وربما أمام أكثر الناس عمقا !! إنه مريض بالمعقد السياسية ، وخاصة إحالة كل الأشياء إلى خطط مرسومة ... وما يحدث في حاراتنا يعود من وجهة نظره إلى مجرد تنفيذ لأوامر مرسومة تحقق ما تسعى إليه ؛ مرة يعيدها إلى مخطط استعماري دولي ، وأخرى إلى سايكس بيكو ، وثالثة إلى

يالطة ، وإلى أجهزة أمنية معادية ، إلى الماسونية ، الصهيونية ،
المافيا..لقد جن الرجل وضاع عقله ..

سايكس بيكو ضيعت الوطن ؛ أخذوا النصف الأول من الأرض ،
وعندما أصبحوا أقوياء أخذوا النصف الثاني بعد أن خلقوا الظروف
المناسبة .. "تجوع يا سمك" ..

أخذوا كل الأشياء المحببة لدينا ، وعندما أصبحنا ضعفاء لا حول
ولا طول ، قالوا : أنتم الأقوياء ، هيا انتصروا في حرب قصيرة ، هكذا
على الماشي ؛ وبعدها لكل عقدة حلال ، وقالوا هيا يا صفار إلى
ساحة السلام ..

ثم قالوا : لا تنفع الطاولة الآن ، يجب تحمية الموقف بعشر
نكبات ، فنكبونا النكبات العشر ، وقالوا انتصرتم ، فليتفاوض
المنتصرون مع المنتصرين ، واشتعلت الإذاعات ونشرت الأخبار تغني
بنصرنا من غير نصر ، مخططات ومخططات ، والخطوة خطوة ..

إننا حقول التجارب ، ومدافن الكيماويات ، والأسواق
الاستهلاكية الأولى ، وأراضينا تدر لهم كل ما يشتهون من تين وزيتون
وأشياء كثيرة..

ماذا أفعل لأفكاري السوداء!؟

جننت يا دكتور !! جننت!!.

- اهدأ يا زيد . توقف الآن . خذ هذا القرص وصل على النبي !!
- كيف أهدأ؟! ماذا فعلتم لأجل الأرض؟! لأجل الناس؟! أهدأ
لأجل أي شيء؟! حاولت أن أهدئ أعصابي .. حاولت أن أعيد
علاقتي بالآخر .. لكنني لم أستطع !! تزوجت أمريكية لأجل أن
أعيد التوازن إلى نفسي ، تزوجت مرغريت ؛ أمها فرنسية ، وأبوها
إيطالي ، وجدتها تركية .. وبعد ثلاثة أيام من زواجنا هربت إلى جهة
غير معلومة ..

حدثتها قبل أن تهرب في السياسة ولا شيء غير السياسة . كانت
كالبغاء لا تعرف شيئاً مما أقول ! ولم أكن أفهم في الحب كما تفهم .
ولا شيء يعنيها غير الحب ، وأنا لم أعرف منه غير بقايا من
العذرية الخجولة .. كيف أبدع في هذا الجانب؟! قلت لها أهلك
دوخونا بالمعارك التي أقرها سايكس بيكو ، وأنت لا تفهمين غير
الحب الغبي يا غبية!! والغريب أنتم من ينتصر!! تذكرت : أجدادي
رحمهم الله ، انتصروا على فارس والروم فأبدعوا في الحب!! أما
نحن فكيف نبدع مع هزائمننا؟! ..

نحن نبدع في شرب الخمر حتى ننسى . ولكن هل نستطيع أن
ننسى!! إن كل الأشياء التي حولنا أشياء مخطط لها .. كيف يمكن
أن نعيش يا دكتور في ظل كل هذه المؤامرات؟! كيف نعيش في رعب

المخططات التي تستهدف العقل والضمير والقلب والحياة وكل ما نملك؟! هل نحن حشرات؟! وما رغبت لا تفكر بغير الحب . وربما حاولت استغلالي !! وإلا ما الذي جعلها تهرب مني بتلك السرعة؟!!

هل أنا الهندي الأحمر الذي يخاف منه البياض أينما حلوا ؟ ، ولما اكتشفت ذلك هربت ! كل هذا بسبب سايكس بيكو...!! لقد جننت جننت !! فماذا أفعل ؟!

١٩. حكاية :

سأقص عليك حكاية قصيرة ؛ هي حكاية أخوة ثلاثة ، تحاربوا..الكبير لجأ إلى الثعابين ليحمي حقله ، والصغير لجأ إلى الثعابين ليحمي حقله ، والأوسط لجأ إلى الثعابين ليحمي حقله ، وعندما قامت الحرب بين الأخوة ساعدتهم الثعابين معا ، فأصبحوا على شفا حفرة من النار أو الموت ، وكانت الثعابين تسرح وتمرح في حقول الثلاثة ، ولما تعبوا من الحرب تدخلت الثعابين لتفك النزاع لأجل أن يزرعوا ويبدروا ..حتى تتنفع الثعابين !!.

وبعد فترة مديدة حصل التقارب بين الإخوان ، وأوشكوا على أن يتصالحوا ، ولكن الثعابين لم ترمها واطية ، فاندست في المؤامرة على

طريقة سايكس بيكو فقامت الحرب بين الأكبر وأبنائه ، فصالت
 الثعابين وجالت .. ثم أصلحت ، وبعد مدة مديدة كاد الأبناء أن
 يتصالحوا مع الآباء ، فعبست الثعابين ، وهشت ، واندست .. فقامت
 الحرب بين الآباء والأحفاد ، فرقصت الثعابين وتاجرت ، فأصبح حال
 الآباء والأبناء والأحفاد حيص بيص ، لا يتفقون سوى في بعض الأعياد
 وبعض أوقات صيام اليوم الأول من رمضان ، مع أنهم يملكون كما
 يدعون قمرا صناعيا واحدا اسمه عربسات ، لكنه الآخر ضاع بعد
 يومين من إطلاقه ؛ أمورهم يا دكتور لايسة وحايصة ، لا يعرفون
 رأسها من رجلها .. ودائما يقولون " اللهم لا نسألك رد القضاء ، ولكن
 نسألك اللطف فيه "!!.

نعود ونقول هذا كله من سايكس بيكو ، وما حدث بيني وبين
 مارغريت أيضا من سايكس بيكو .. بحثت عنها ولم أجدها ، فقط
 كنت أريد أن أعرف منها سبب هروبها ، بعضهم قال عنها أصلها
 يهودي ، وأنها عاشت ثلاث سنوات في القدس القديمة ، وأنها كذبت
 علي عندما تنكرت للغة العربية ، فهي تتحدثها بطلاقة .. كانت
 تتحدث معي بالإنجليزية التي كنت أنحت فيها من صخر .. وأنت
 تقول لي اهدأ يا زيد !! كيف أهدأ !! مارغريت طعنني في
 فحولتي !! لقد هربت مني من غير أن تترك لي رسالة ، وأنا حرصت

على ألا أضعها إلا بعقد القران أولا .. أين هي حتى أردّها إلى بيت الطاعة وأعرف منها أصلها وفصلها ؟ وتقول لي اهدأ يا زيد !!!
لقد جنت جنت !!.

٣٠. توازن :

عندما اكتشفت بأن كل الذين حولي هم ضدي لأنه مخطط لهم مسبقا أن يكونوا ضدي ، قررت حينها أن أتمرد . ولم أجد غير طريقين : إما أن أقتل نفسي ، أو أن أعلن العصيان ، فأعلنت العصيان ، لكنهم حاصروني . لم أخطر بحياتي . أنا أدرك بأن الموت هو النهاية الحقيقية المطلقة للحياة . يجب ألا أهرب من قدرتي ، قلت : يجب أن أعيش حياتي بطولها وبعرضها . وفي نهاية المطاف قلت لنفسي : اسمع يا زيد العامر ، أنت تضيع وقتك ونفسك !! فلماذا تصر على أن تحمل السلم بالمرض ؟! قلبك أبيض ، لكن أصحاب القلوب البيضاء هم الحمقى في هذا العصر . يجب عليك أن تتروى عندما تريد الحكم على ما حولك . يجب أن تفكر وتمد للعشرة قبل أن تصرخ في الآخرين أو تتهمهم . أنت لست مثالا زائدا عن الناس في شيء ، كما أنك لست الوحيد العامر في هذا الكون ، يجب أن تضع رأسك بين الروس وتقول يا قطاع الروس . أو انسحب واترك غيرك

يكون هو كبش الفداء ، عليك أن تترك ما يزعج الثعابين حتى تعيش أحلامك . ولكن هل لديك أحلام؟! لا تقنع نفسك بأن حياتك أكذوبة: عندما تقرر أن تبتمد عن مشاكل الآخرين . ماذا بقي منك؟! سجنوك خمس مرات !! قتلوك من أجل لفتك .!! المهم من الآن هو ألا تتحدث في أمور لا تعنيك . لو تدخل كل إنسان في أمور البلد لأصبحت مثل الطبخة الشايطة كما قالوا لك . وعندما كنت تعلن لهم أن ما يحدث هو ضد مصلحة البلد ، كانوا يغضبون منك ، ويقولون : طز فيك وطز في البلد ، أنت تبحث عن موتك . أنت لا تريد أن ترميها على البر أو على البحر !! إنهم كانوا يتعمدون البحث عن موتك ومراقبة بريق كلماتك . كنت تقول لهم هذا كله من سايكس بيكو ، فكانوا لا ينفكون عن ملاحظتك حتى في الأشياء التافهة . قالوا أنت مجنون ، الناس وصلوا إلى القمر ، وما زلت حضرتك تفكر بسايكس بيكو... أنا جننت يا دكتور جننت !! .

- اهدأ يا زيد . اهدأ . توقف . انتهت جلسة اليوم ، سنتابع الحديث الأسبوع القادم . لا تنس الموعد في الساعة الرابعة من بعد عصر الاثنين . خذ هذا العلاج ثلاث مرات ، كل مرة حبة بعد الأكل . اجلس الآن نصف ساعة في الاستراحة ، ثم غادر . عليك أن تنام جيدا .

٣١. تعقيب :

كان شابا ذكيا يتقادح الموت من عينيه . جسده نحيف ، ورائحته منقوعة بالتبغ الرديء . يمكنك معي ساعة فيدخن فيها أكثر من خمس سجائر . عقده بكل تأكيد سياسية ، وحلها هو حل مشاكل الأمة التي لا أول لها ولا آخر كما كان يقول .. صراحته صارخة ؛ يتدفق كموج هادر . كاد يشتعل فيتحول إلى رماد رغم برودة الشتاء . إنه هز أعماقي فكدت أبكي أمامه لأجله . كنت عاجزا عن علاجه ؛ المسكنات فقط . ماذا يمكن أن أفعل لذلك المسكين ؟! وكيف أخفف من وقع سايكس بيكو في وجدانه . أنا شخصا كنت أستمع لانهياراته كالأبله . إنه فعلا عامر بالمصائب . انتظرتاه الاثنين القادم والذي يليه ثم الذي يليه .. ولم يأت قط . كنت متأكدا من أنه وقع في مصيبة ما ؛ الموت ، السجن ، المصحة ، أي مصيبة أخرى . جزء من مرضه يعود إلى فقدته الثقة بالذات وبالأخر . ولديه انفصام في الشخصية . وعقده الحقيقية كما تهيأ لي تنحصر في شكه المطلق بالسلطة ، لذلك حرم أكل السلطة منذ وعيه !!

كان بودي لو حضر معي جلسات أخرى ، لأرى إن كان لديه ما
يفضي إلى عقد من الذب .. أو إلى مازوخية معينة .. إنه خرج ولم
يعد! ! رحمه الله إن كان مات .. القدر أسهل من العلاج ..
لدي وثائق كثيرة عنه .. وما قلته هو إشارات حتى تتأكدوا من
عمق أزمته ..
الطب النفسي كما تعرفون لا يخرج أسرار مرضاه مهما كانت
ظروفهم . وما قلته لا يتجاوز أن يكون قصة خيالية لا صلة لها
بالواقع عن شخص مجهول . كما أن اسم المريض الحقيقي هو غير
الاسم الذي سألتكم عنه .
على أية حال أنا الدكتور أحمد السبع أخصائي أمراض نفسية .
متقاعد من الخدمة الحكومية . الحي الشرقي من الخبرة ، عمارة
الأنوار ، الدور الرابع ..

- ٥ -

٣٣. رسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم
أخي العزيز يوسف الشعبان ،
تحية طيبة وبعد ،

كيف أحوالك ؟ سلامي للجميع .

بكل تأكيد هذه رسالة مفاجئة لك.

أخي يوسف ستقتصر رسالتي هذه على الحديث عن صديقنا زيد العامر والحالة التي وصل إليها مؤخرا ... ربما لا تعرف شيئا من ذلك . لقد بكيت من أجله ...

أصبح زيد العامر كطفل ، يحتاج إلى من يرتب له أموره ...
لقد طلق زوجته ، فتركت له ابنة صغيرة، لم يتجاوز عمرها السنة، ترعاها الآن امرأة من جيرانه . حاولنا أن نعيد الأمور إلى مجاريها، لكن لا فائدة ، فالمرأة مقتنعة بأن زيد العامر مجنون، وقد حاول . كما تدعي ، أن يقتلها عدة مرات . بل تقول إنه حاول أن ينتحر مرتين . وتدعي أيضا أنه دلق البنزين مؤخرا في البيت ، وحاول حرقه..تأكد أنه لا مجال مطلقا لعودتها .

صدقني لقد فوجئت بحالة زيد العامر !! لا أعرف ماذا حدث له ، كنت أراه مثلا للعبقرية ، وخاصة أنه أصبح لديه أربع شهادات : واحدة في المعدات الزراعية ، والثانية في الترجمة، وكذلك في الرياضيات، وفي الأدب ..

هو الآن عاطل عن العمل ، بعد أن فصلته شركة التنمية الزراعية ، وعندما ذهب إلى الشركة لتسوية الأمر أكد لي موظفوها أنهم لا

يكرهون زيد العامر إطلاقاً ، لكنه هو المشكلة . فقد أصبح من وجهة نظرهم في الفترة الأخيرة عصيباً متقلب المزاج . تصور أنه في آخر مشكلة له خلع حذاءه وصفعه في وجه سكرتير المدير... حاولت إقناع المدير أن يعيده إلى عمله ، وهو متعاطف معه ، لكنه رفض ، وأبدى استعداده للمساعدة المالية في أي وقت ..

اتصلت ببعض الأصدقاء ، واجتمعنا لنجد حلاً للمشكلة .. لكن الحلول كانت عسيرة ، ولا تستغرب أن يقترح بعضهم تسليمه إلى مصحة نفسية ؛ حتى لا يقترب مصيبة ما في حق نفسه أو في حق الآخرين .. وكان أفضل اقتراح أن نعيده إلى الريف عند بقايا أهله.. لكنه فيما بعد رفض العودة .

مكثت شهراً كاملاً أحاول حل بعض مشاكله هنا أو هناك . لقد تخلى عنه الجميع . إنه الآن كأبله وضع أموره في يدي ، وقال بالحرف الواحد : " ما تفعله لأجلي أنا موافق عليه " فماذا أفعل ؟!

اكتشفت أنه كان يراجع إحدى المصحات النفسية ، وبعض العيادات الخاصة . وعندما ذهبنا معاً إلى المصحة ، وقابلت الطبيب الذي عالجه قال لي إنه مريض بالشك ، والشك كما تعرف أبرز أمراض العصر في حياة المثقفين !! .

سألت زيد العامر عن مرضه وما يشعر به ، وبالذات عن الشك ، فقال إنه يشك في كل الأشياء التي حوله ، فهو كما قال لي إذا رأى ، على سبيل المثال ، اثنين يتحدثان في الشارع العام ، يتصورهما يتحدثان عنه ، وكما قال لي أيضا هناك أشياء في داخله تدفعه إلى الفاحشة ، ويزعم أن هذه الأشياء جاءت به بعد أن أكل وجبة طعام فاسدة.

أخي يوسف ، إن مشكلة زيد العامر في غاية التعقيد ، وهي مشكلة يعجز عن حلها عدد من الأشخاص .

لن أتركه في هذه الظروف الصعبة لوحده . لكنني أظن أنني مسئول عن حل بعض الأمور . . وكذلك لدي أشغالي التي ترهقني... هناك أمور لا يمكن حلها إلا بمساعدة الآخرين ، وسأسافر بعد شهرين إلى الإمارات العربية ، ولن أتمكن من متابعة أوضاعه .. أموره المالية مدققة ..

أخذته إلى شيخ فاضل ليقراً عليه ، فقرأ علينا معا ، وطلب منا أن نأخذ ماء وزيتا مقروءا عليهما ، وندهن منهما جسدنا ، ونأكل ، ونشرب لمدة أسبوعين ، ثم نعود إليه بعد ذلك .. وعندما خرجنا إلى الشارع دلفهما زيد العامر على الأرض ، وقال لي " اتركنا من

الدجل ، سأخذ الأقراص المهدئة التي وصفها لي الطبيب، أنا المقصر في تناولها حتى ساءت حالي ..

ما استطعت عليه عملته ، طلب مساعدتي كي أسهل له السفر إلى أميركا ، لكن المحاولة فشلت؛ لأنه لم يجد جوازاته القديمة ، وما زلنا نحاول ..وقد حدثني عن فتاة أمريكية تحاول الارتباط به ..

أؤكد لك يا صديقي أن ما رآه زيد العامر في حياته وخاصة في سجنه يفقد عشرة أشخاص عقولهم .

قد أصل إلى باب مغلق في حل مشاكله ؛ فهو بلا مال ،وبلا عمل ، ولا زوجة، ولديه ابنه لدى الجيران ، وبلا أصدقاء، ولا يستطيع السيطرة على تصرفاته ...

هل أتركه يواجه مصيره وحده فيقتل نفسه أو بعض الآخرين؟!..!!

حتى أصحاب العمارة المستأجر عندهم بدءوا في الفترة الأخيرة مطالبته بالرحيل ، والقانون كما تعرف في مثل حالة زيد العامر في صالحهم ..

أخي العزيز يوسف الشعبان، لا أخفي عليك أن ظروف زيد العامر المالية صفر ، وأنه بحاجة إلى مساعدتنا جميعا ، وأن بينكما صداقة حميمة ، وعنوانه لديك كما أخبرني ، فأنا أخذت عنوانك منه ،

وكتبت لك هذه الرسالة بدون علمه ؛ لأنه لا يريد من أحد أن يشفق عليه ، فهو كثيرا ما يردد:

" لا أعرف كيف وصلت إلى هذه الحالة التي لن يتصورها أصدقائي !! " .

يمكن أن تتصل ببعض أصدقائه لمساعدته ، ومن الضروري أن تكتب لعمر المنقوشي حتى يمد يد المساعدة ... !!

إن المساعدة المالية هي أهم ما يمكن أن تقدموه الآن لزيد العامر ... !!
عنواني الحالي هو :

خربة بني دار _ بريد الجبل السادس _ بقالة عبدالله
الخضرجي - ومنه ليدي.

مع خالص الود وأطيب التمنيات

أخوك حسين المنصوري

- ٦ -

٢٣. العجوز:

كان يوسف الشعبان سيد أصدقائي . أشياء كثيرة مشتركة بيننا ،
أهمها أن كلمتنا تخرج جارية للآخرين ، ولا نكثر من أصدائها ،
فإرضاء الناس غاية لا تدرك..

كانت معاملة يوسف لدى الدائرة الحكومية معقدة للغاية ، وهو يراجع بدون اكتراث . وسبب التعقيد إقامته فترة بسيطة في المدينة متجاوزا قوانين السلطات .إنه غير مبال أو مكترث . وهذه سمة من أهم السمات المشتركة بيننا ..

في ذلك اليوم تفاجأ يوسف الشعبان بالمرأة المجوز وهي تبكي عند الضابط الكبير ، وهو ينهرها رافضا توسلاتها ..لم يتمالك أعصابه فثار في وجه العسكري صارخا هادرا ، لم يعرف كيف يشد حباله الصوتية إلى الوراء ،كيف يتوقف عن الإسهال الفكري في حضرة السلطة الراعية الواعية لأمر الأمة ...

قال : ماذا فعلتم لأجل ملابسكم الأنيقة ، ولأجل رتبكم المخصوصة ، ولأجل أحذيتكم اللامعة ؟! أهذا ما تفعلونه ؟! أن تكسروا هذه المجوز الطيبة ؟! أن تستمتعوا بتدفق عيونها ، تتساقط قطراتها على الأرض ، يدوسونها وهم يؤدون لك التحية العسكرية ، “؟! الجنة تحت أقدام الأمهات ” ودموعها هنا تحت أرجلكم .. دنيا آخر زمن...!! ماذا عملتم لأجل الوطن ؟! قبل يومين غارت طائرات العدو ، وقبل أربعة غارت ، وقبل وقبل.. وبعد وبعد...ماذا فعلتم يا سادة؟!! فقط قهرتم معاملتنا...!! اللعنة !!

كان الضابط محنطاً ؛ لأنه تفاجأ بالصرخات المجنونة ، لم يعرف ماذا يفعل تجاه حركة التمرد المجنونة !! وما أن توقف يوسف الشعبان فجأة من غير مقدمات حتى عاد للضابط وعيه ، فصرخ بأعلى صوته : أخرج يا كلب .. ونادى : ياسيف ، شافي ، مهوش..

هرب ... مكث يجري مدة ساعتين ، يميل من هنا ، ويميل من هناك ، شك في السيارات التي وراه ، في المارة من أمامه ومن خلفه ، في كل الأشياء من حوله ، واقتنع أخيراً أنه سلم .. ، وأنه يقف على بر الأمان ، وأنه استطاع ولأول مرة أن ينفذ داخله المتعفن ، وأن ينتصر في لحظة صغيرة على أعدائه ..

٣٤. السجن :

كان يوسف الشعبان غيباً عندما تصور الأمور على نحو ارتضاه هو ، إذ لم تكن الأيام العشرة التي غابها عن الضابط كافية لنسيان ما فعل . فهو عندما عاد ومعه واسطة لحل عقدة معاملته ، أدخلوه إلى السجن ثلاثة أشهر تحت بند إقامة غير مشروعة في المدينة . ولم يذكر الضابط شتائم يوسف الشعبان ، بل تناساها تماماً ..

وما حدث ليوسف الشعبان داخل السجن كان أكثر حرارة مما يحدث له في أسواق المدينة . صحيح أن السجن مليء بالوحشة ، واللواطيين ، والبورجوازيين الذين أثروا في السجن مما

يسمى شد الحمير العابرة (المساجين الجدد)، مليئا بأحكام الإعدام ،
والمظلومين ، والأغبياء ، والشطار ، وتجار المخدرات .. لكن كل هؤلاء
كانوا يقولون له أهلا أستاذ ، لأنه استطاع مؤخرا وفي السجن فقط ، أن
يحصل على وظيفة مدرس متعاون دون راتب .. فقد كانت المدارس
خارج السجن تحرص على حسن السيرة والسلوك ، وفي السجن لا
يحتاجون إلى ذلك ... !!

خرج من السجن وهو حزين لأمرين ؛ أحدهما : مفارقتة الوظيفة
والناس الطيبين ..

والثاني عودته إلى المواجهة مع عقدة معاملته ..

- هل ستعود إلى الضابط ليسلك لك المعاملة ؟!

- اللعنة !!

- وماذا ستفعل ؟!

- دبرنا وسيلة عن طريق المسئول الكبير !!

- للإقامة في المدينة ؟!

- للهروب إلى دولة مجاورة ؟!

- تسافر ؟!

- شاب رأسي ، سنتان دون عمل ، يجب أن أسافر ..

وسافر بعد أن تدخلت أربعون وساطة لتسليك معاملته ..

٢٥. عمر المنقوشي :

سافر قبل سنتين من سفر يوسف . كان صديقي عمر المنقوشي أفاقا ، ما زلت أذكر تلك الحادثة التي أوهمنا فيها أنهم استدعوه ، وهددوه بأنهم سيعاقبون أهله . وبعدها غاب أسبوعا ، وعندما عاد هنأناه بالسلامة. ثم اكتشفنا بعد فترة قصيرة أنه كذب علينا ، لأنه كان مختفيا عند قريب له في أحد أحياء المدينة .. وكان يوسف الشعبان لا يرى فيه غير الصياغة مع البنات ، وكان يسميه عمر الكذاب !!

قرأت مرة قصة قصيرة أمام عمر المنقوشي وسارة العكش ووردة السلمون ، وقد ثارت سارة العكش على عمر ، وربما كان بينهما علاقة ما ، وقالت له : تعلم من زيد . أنت صديقه ، ولا توجد فيك صفة واحدة من صفاته الكثيرة !!

ربما حقد عليها ، وربما حقد علي ..

فقد اختلف فيما بعد مع سارة وشتمها ، واتهمها بالغباء ، لأنها اعتقدت بأنه يمكن أن يتزوجها .. وحاول عندما ساءت العلاقة بيني وبين وردة السلمون أن يثير أعصابي عن طريق التقرب إليها والجلوس معها في الأماكن المنزوية ..

غاب عمر المنقوشي .. ولم يعد بيننا اتصال .. على عكس ما بيني وبين يوسف الشعبان ...!!

٣٦. إضافة من يوسف :

لقد أصبح عمر المنقوشي طفلا أنيسا بعد عراك معقد مع الحياة .
سافر إلى الكويت ، وسجن فيها مرتين بسبب تعاطيه الخمر في الشارع العام إلى حد السكر والغياب عن الوعي ..
تزوج ابنة عمه .. وعندما قامت الحرب الأخيرة عاد إلى الخربة ،
ففتح فيها بقالة لبيع الخضار والفواكه .. ويقال إنه يخسر أكثر مما يربح ..
ويقال أيضا إنه أصبح قاصا أو شاعرا .. سأبحث عنه في إحدى زياراتي إلى هناك !!!

- ٧ -

٣٧. سارة العكش

تتذكر :

لا أريد أن أتحدث كثيرا ؛ لأن الحديث عن زيد العامر

شيء ممل.

كان مثاليا في أحلامه ، بل صوفيا ...

بدأت معرفتي به عندما لجأت إليه كي يقرأ لي فصلا في الرياضيات المالية . لا أنكر أنني أحببته . وربما مال إلي !! .

لم أقل له شيئا عن حبي . كنا نشرب القهوة معا . كان يطري جمالي؛ فيصفني بأجمل واحدة في المؤسسة ، وكنت أقول له : هذه مجاملات لطيفة منك ، لكنها غير صحيحة ، فكان يؤكد كلامه !! .

أهداني مجموعته " تغاريد الموت " وكتب الإهداء "إلى سلمى التي قرأت معها فصلا في الرياضيات المالية " .

كنت أنتظر اللحظة التي سيعلم فيها حبه ، لكنه لم يفعل شيئا من ذلك ...

وعندما كنت أقول له : متى ستتزوج ؟! كان ينظر إلى قدميه ويعلق : " وهل سلم رأسي حتى أورط الرؤوس الأخرى معي ؟! "

إن زيد العامر ، كما قال لي ، حاول أن ينتحر مرة ، لكنه تراجع في اللحظات الأخيرة ... ثم غاب ... !!

وقلت في نفسي إلى الجحيم يا زيد العامر ، فأنت لا تستحق الشفقة ، وأنا لا أريد عقله ، كان يهمني قلبه الذي لم يعد يصلح لغير المتوهين .. وكان يقول عني : " فتاة بورجوازية لا تصلح إلا للتفكير في طرق اقتناص الفلوس لتشتري الفستان الأحمر ، وتدعي الاشتراكية " .

لا أذكر أنني التقيته بعد زواجي ، أو سمعت أخباره ..

قرأت له قصة في إحدى المجلات، أعادته إلي بعد غيابه بشحمه ولحمه .. وبكل فلسفاته وآلامه التي يصنعها حول نفسه .. حزنت لأجله، تأكدت أنه لم يتغير ، وأنه سيموت ميتة بشعة ؛ لأنه لا يريد لروحه أن تستريح ، وقد يعدمونه يوما ما رميا بالرصاص . وإذا مات فعلا فهذا يعني أنه محظوظ ؛ لأنه استطاع أن يعيش خمسة وثلاثين عاما ..
لو طلب يدي في ذلك الوقت لوافقت عليه ، ولخلفت له ولدا يذكر اسمه بالخير ..

لكنه كان عنيدا تجاه نفسه وتجاه الآخرين ...
لو كنت شاعرة لرثيته بقصيدة يستحقها ..
إنه أحيانا يشعرنني بالعطف عليه ، وأتمنى له الحياة ...
مات أو قتلوه لا فرق ، فهو كان دائم البحث عن موته !!
سارة العكش امرأة تجاوزت الثلاثين ، تزوجت من رجل أعمال على زوجة ثانية ، وقبل عامين تطلقت منه ، ولديها منه طفل اسمه زيد ،
سألتها إن كانت التسمية على زيد العامر ..
ضحكت وقالت : " هل أصبح اسم زيد من الأولياء ؟!! " .
قلت لها :

هل بحثت عن زيد العامر بعد طلاقك من رجل الأعمال ؟!
قالت بأسى :

كنت متأكدة من موته ...
أو من سجنه...
أو من جنونه...!!
إن سارة العكش أجمل بكثير من وردة السلمون..
إنه كان أنانيا تجاه من أحبه!!..

- ٨ -

٣٨. اصطدام :

كان المعهد العالي غاصا بالطلبة الذين تركوا المحاضرات، وتجمعوا في الساحة العامة، يهتفون ضدهم ، ويطالبونهم بإعادة مجلس الطلبة الملقى بقرار عرفي .

كنت واحدا من الذين تهيأ لهم ، أو تصوروا أنفسهم ، أنهم يقودون
الشغب الطلابي ، ويصوتون ضد الأحكام العرفية .
جاء رئيس المعهد ، فوقف وسط الساحة يخطب ..
هتف ضده المشاغبيون ..
وصفق له المؤيدون ..

قال : لماذا تريدون مجلس طلبة؟! فالحرية مفتوحة أمامكم ، إننا لا
نفرق بين المحبين ، وهذه الأشجار تشهد على الحرية الكبيرة التي
أعطيناها للعشاق تحت ظلالها ... أتريدون مجلسا يتدخل في سياسة
البلد؟! إن المعهد لا دخل له بالسياسة ، ولن يتوانى لحظة عن فصل
كل الطلاب الذين يتدخلون في عمل الآخرين المهمين ، حتى ولو أدى
الأمر إلى إغلاق المعهد!! .

ثار الحي المقابل للمعهد ، فأيد في البداية مطالب الطلاب ، وعندما
رفضوا الاستجابة ، أعلن الحي الحكم الذاتي ، وسيطر على نفسه في
الليل...!! .

دفعوا في الصباح الباكر كل الكتائب ، فقامت المعركة مع الطلاب في
الشوارع العامة ، وعلى رءوس الجبال ..

كنا حوالي خمسين طالبا عندما حاصرونا ، في بطن أحد الجبال ...
رفعت قميصي الأبيض الذي لبسته عن حبل الفسيل علامة على
الاستسلام ..

أمسكونا وأجلسونا على بيت النمل الحاقد ، فكان النمل من تحتنا ،
والعصي من فوقنا !!..

أخذونا إلى المخفر ، ضربوا ، شتموا ، لعنوا ، وصفوا .. ورأيتهم
متخصصين في الأعراض !!

جلسنا في الغرف العارية ...

قال المحقق لي : لماذا اشتركت في المظاهرات ؟!

قلت : أنا لم أشارك ، أنا ذهبت في الصباح إلى المعهد ، فأخذوني من
الطريق للتحفظ علي ... أنا لا أعرف غير بيتي والطريق إلى
المعهد !!.

أكلنا وجبة العدس .. ، ثم كان صوت المذيع يهذي ، ونحن نتكلم في
الآلام.

قال المذيع : أكد الحاكم أنه تم ، بحمد الله ، السيطرة على الشغب
الذي حدث في المعهد العالي . وقد حقق مع العناصر المسئولة ،
واعترفت بتبعيةها لأجهزة معادية ..

لم يجدوا الفراش والأغطية الكافية ، فأفرجوا عنا بعد منتصف الليل...

وقبل أن نغادر قال المسئول :

لاحظتم المعاملة الحسنة ، يجب عليكم أن تكونوا سفراء
لزملائكم، وأن توضحوا لهم كيف كنا حريصين على كراماتكم التي هي
من كرامة هذا البلد ..

كانت الشوارع في الليل خالية من الحياة ..
انتظرت أكثر من ساعتين حتى وصلت إلى البيت بأجرة مضاعفة ،
ثم لم أصح إلا في صباح الليلة التالية!!.

- ٩ -

٣٩. صفية بنت غبار والدته زيد العامر :

تجاوزت أمه الستين عاما ، وما زالت تذكر تفاصيل مذهلة عن شخصية زيد العامر منذ طفولته ، بل منذ كان في بطنها !! فذاكرتها لم تخسر شيئا كثيرا من تاريخه ، بل إنها أحيانا تذكر أشياء صغيرة قد لا يتذكرها الإنسان الواعي عن نفسه بسهولة .

السيدة صفية بنت غبار تقول إنه وحيدها ، وتقول : " إن شمري ما شاب إلى هذه الدرجة إلا بسببه . أما كيف شيبني قبل أواني ، وهنا تبالغ ، فلأنه لم يعيش حياة عادية ، كان يخرج من أزمة ليحل في أزمة أخرى ، لم يعد يألف غير السجون ، فأذاقني الحسرة ، وليس في يدي إلا أن أدعوله عدد شعر رأسه ، وعدد ما على الأشجار من الأوراق ، وعدد حبات البرد في الثلجة الكبيرة ، وعدد قطرات الحليب التي وضعها مني . في إحدى الليالي خرجت إلى السطح ، وكشفت عن صدري ، ودعوت له بالفرج والستر . لم أذق البطاطا المقلية منذ عشرين عاما ، لأنه عندما سجن زيد سجنته الأولى قالوا لي لا يوجد في السجن بطاطا مقلية . وعندما خرج من السجن أخبرني أنه كان يأكل المدس والبطاطا المسلوقة ... زيد مسكين ، فهو يحب كل الناس ، لكن أكثرهم لا يحبونه ، كانوا يتركونه يواجه ظروفه القاسية وحده ، لم يكثرثوا... الله يرضى عليك يا زيد عدد حبات الرمل الموجودة في الصحراء والتي كنت تحلم أن تحولها إلى جنة.. الله يرضى عليك عدد حبات الحمص الموجودة في الأودية والجبال والسهول ، وعدد قطرات الماء المتجمعة في البحار والمحيطات ..

كان زيد مسكينا طيب القلب ، كان يحب الخرافات التي أروبها له عن جبينه ، ومحمد الشاطر ، ونص نصيص ، وعندما حججت الحجة

الأولى وامتنعت عن قص الخرافيات ، لجأ إلى جارتنا أم موسى ، وقصت له ولأولادها .. ولما اكتشفت أنه يدخن ضربته كفا ، ومن يومها وأنا أعاتب ידי القاسية .. وما ترك الدخان !!

أنا شقيت ، وتعبت ، وهو أشقاني منذ أن كان في اللفاع . وقع مرة عن السطح ، وجاءت وقعته سليمة ؛ لأن الجدران كانت ترابية .. ومرة سقط مع الباص في الواد وجاءت سليمة ، ومرة ومرة ومرة .. سجنوه ، ومنعوه من العمل .. الله يظلم الظالمين !!

لا أصدق أنه مات .. ما زلت مطمئناً إلى أنه حي ، وأنه سيعيش بعدي ، كنت دائماً أدعو الله ألا أذوق حسرته الكبيرة .. وأقول يا رب اجعل زيدا يشتري لي الكفن بيده ، ولا تجعلني أذوق حسرته .. كان يقول بعد عمر طويل يا صفية ؛ بعد خمسين ستين سنة .. وكنت أقول لم يبق من العمر أكثر مما مضى .. وكان يطلب مني أن أحدثه عن والده .. وأنا أتهرب .. مات أبوه وهو في بطني .. تعرفت على أبيه في هذه المدينة ، ولم أعرف منه غير اسم قريته ، تزوجنا ، والقصة طويلة .. زيد شقي شقي والحياة وجه عبوس .. إن دخل وإن طلع كان يتحدث في السياسة ، وأنا أقول له يلعن السياسة ويلعن الذين وضعوها ، حاشا سياسة ربنا ، يا ولدي اترك الخلق للخالق وانتبه لحياتك . يضحك ويقول هذا الكلام الذي خرب البيوت .. قلت له سأقتل نفسي وأموت

كافرة إن متت قبلي ، فيرد عمر الشقي بقي .. أقول له قصة الرجل العاقل الذي طلق زوجته البطالة عندما اكتشف خيانتها .. لم يقتلها هي وعشيقها .. ولما تزوجت آخر غيره قتلها ، وقتل عشيقها . وراح فيها إعدام .. كان يضحك ، ويقبل جبھتي ، وأدعو له عدد حروف القرآن .. لم أترك وسيلة للحفاظ عليه ، لكنه كان عنيدا .. ولا يحب غير الموج !! يا زيدا ابني الله يرضى عليك " وين ما رحت وين ما لقيت ، بجاه الله ."

عندما بدأت عيون صفية تدمع ، لم أستطع متابعة الحديث معها ، هدأتها ، وطيبت خاطرها ، وقلت لها : " الآن أنا تيقنت أن زيدا ما زال على قيد الحياة ، لأن قلب الأم دليلها .

واستطاعت أخيرا أن تهدأ وعيناها ملينتان ببحيرتين ، يسبح فيهما زيد العامر ، وهو يتقن العم على عكس ما عرف عنه من عدم مقدرة على السباحة !!

كان يقول : " علموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل ، وهذه الثلاثة غير موجودة في حياتي ، فأحمد الله الذي لا يحمّد على مكروهه سواه ؛ لا رماية ولا سباحة ، ولا خيل ...!! " .

٣٠. زيد العامر

ما تجدونه في هذا الكتاب من سيرة زيد العامر هو جزء يسير من حياته وعلاقاته مع الآخرين... هناك أخبار وأوراق كثيرة متناثرة ، وما زلنا ندور في حلقة مفرغة حول النهاية التي وصل إليها هذا الإنسان العادي البسيط الذي تقولب في إطار من الشعرية والتلاشي .. أعدكم بأن أقدم القسم الثاني في حال توفر مادة كافية ، هذا بعد أن نرى وجهة نظركم في هذه الأوراق التي قدمناها بشكلها المتداخل ؛ التداخل الذي قد يحمل الإثارة الأكثر إيجابية !!

هناك أخبار متعددة تؤكد عدم موت زيد العمر ، ومما توصلت إليه في إحدى الروايات أن زيد العامر يعمل مدرسا تحت اسم مستعار في خربة فلسطينية نائية في صحراء النقب ، وأنه متزوج من إحدى فتيات الخربة ، وأن حاله صلحت ، ولا يفكر بالعودة إلى المدينة ..

كان زيد العامر من أعز أصدقائي رغم الخلافات الكبيرة التي كانت تحدث بيننا ، ويبدو أن المثل الشعبي " القط يحب خناقه " انطبق علينا..

وإذا صحت مقولة هروبه إلى خربة نائية ، فإنني أعتقد أنه وصل بذلك إلى ما كان يتمناه وهو طالب ؛ إذ تمنى أن يكون حاكما في قرية مهجورة نسيها الزمن ، يحقق فيها سياسته بعيدا عن المخططات المكتوبة في سايكس بيكو..

هل وصلت إلى ما تريد أيها الصديق البائس؟! إنني لا أستطيع أن أصدق هذه الرواية.. لكن قد لا نتصور أشياء فنجدها أمنا واقعة حقيقية.. والحقيقة المطلقة في الحياة هي حقيقة الموت ، وسنردد دوما أن الحياة لها بريقها ، ولا نشعر بمتعتها بعيدا عن الأشواق التي تحاصرنا.. وتبقى الحياة بابا مفتوحا على كل الاحتمالات !!!

وفي القسم الثاني من هذا الكتاب سنقدم بعض النصوص التي تركها زيد العامر عند صديقه يوسف الشعبان ، لعلنا نجد فيها بعض ما يفضي إلى تشكيل جغرافية خاصة في مغامرة زيد العامر الإبداعية .

عمر النقوشي : ١٥/٩/١٩٩٢م

القسم الثاني:

ثلاثة نصوص لزيد العامر

[عوج بن عناق..]

جمانة المشرفي..

[امرؤ القيس..]

- 11 -

عوج بن عناق يدمن التبغ

[خروجه من القبر مواجهة مع الضياع]

١. العبور :

في اللحظة الضبابية ؛ لحظة التقاء الموت بالحياة في صورة
تراجيدية قاتمة ، أدرك عوج بن عناق أن خروجه من القبر سيكون
حقيقة التخلص من الحي القاحل الأجذب الذي تموت فيه
صغار الإبل من العطش ، ويعوي الكلب ليل نهار من الجوع يفكر
بافتراس طفل يتيم... يخرج ابن عناق من الظلمة ؛ من القبر ؛ من
هيمنة الديدان الأرضية ...

اشتدت ظلمة القبر في عيني عوج فتمرد على الحراس، وأصبح الخروج يعني حقن دمهم، وبالتحديد ذلك الحارس الذي يحمل العصا الفليضة ..

فكر صاحب العصا: أين سيذهب هذا الأعوج المعتوه؟! إنه لا بد وأن يعود إلى قبر آخر ، تحيط به الشياطين من كل فج عميق.. وحينها لن أقبل عودته إلى مقبرتي الآمنة ..

وافقت اللجان الأمنية على خروج ابن عناق من قبره المصمم له منذ ولادته تخلصا من شره القاتل ، فنزل الحارس إلى القبر ، حيث العفن الجثثي في كل أنحاء المفضوب عليهم والضالين .. إذ كان هناك معتقلا .. ضحك الحارس بصوته الأجش ، وألقى بعصاه على الباب الحجري ، فانفتح المدخل الأسود القاتم، وظهرت خيوط المنكبوت السوداء ، وانتشرت العفونة في كل أنحاء المدخل القذر .. جثة حية تتململ من بين الجثث الهامدة المقتولة منذ آلاف السنين . الجثث تختلط برمل القبر .. يزيح ابن عناق الجثث التي تراصت فوقه ، فتتكسر آلاف القطع العظمية .. هذا فيلم رعب بكل تأكيد .

سنوات تمر كسرعة الضوء ، تتحرك شفة ابن عناق السفلى : أين الوالي، إنه لا يحكم بالعدل !! ستثور عليه البقاع .. لقد حذرته كثيرا .. إنه لا يسمع مشورتني !! ..

يركب بإصرار الناقة التي اشتراها بكل النقود المحفوظة لديه من الصدقات التي كانت توزع على القبور في الأعياد ، وما حوشه من بيع الحلويات في المواسم المولوية .. كل شيء كما هو لم يتغير .. يرتفع في السماء ، فيلامس حذاؤه السحاب .. ويسر لرؤية نجم سهيل وطريق التبانة وبنات نعش .. كل جسده يتمدد وينتفش بعد التقلصات التي ألت به نتيجة صراخ الجن والشياطين الكفرة والأوغاد والبغايا القادمات من عنبر جمانة .. وكانت تقطع ظهره البائس الجثث الجديدة الملحدة التي توضع فوقه .. إحدى الجثث مومس جنت بعد أن ماتت ، كادت أن تقتله ، لولا أن تنبه إليها ذلك الدركي المقامر الذي مات بعدها ، إذ قبض عليها وسجنها ، ومؤخرا عوقب الدركي لأنه مارس صلاحيات الدنيا في السفلى ... وقد همس أحدهم في أذنه قائلا : "أنت منعت جريمة مدبرة .. فالحارس هو الذي دفع المرأة إلى القتل ؛ ضربها على رأسها فأفقدتها عقلها ، وقال لها : عوج بن عناق سرق عقلك ."

وأخيرا خرج...

النشوة في الهواء الجديد . إنه يختلف عن الهواء الذي يحيط بالمقبرة التي تنتشر فيها روائح القتل والجريمة .. ومن قرب

نجم ثاقب بصر في الهواء وهو يتذكر وجه الحارس صاحب العصا
الغليظة

٢. أنوار الجوم :

ضحك بهستيريا . شاهد النفائات الممتدة أمام محرقة مخلفات
الخربة . كل الأشياء ستصبح مثل هذه المخلفات ..
في ذلك القبر تقبع البقايا .. ، تطير الأرواح الخيرة ، تتعلق في
مناكير طيور مزرکشة .. طار إلى هناك ، أخذ روحه ، وعاد يهبط
شيئا فشيئا إلى الأرض .. ليجث عن حبه ..!!

تذكر بعض مخلفاته ؛ رائحة أمعائه ؛ احتقان دماغه المضطهدة
مع تكاثر العفن ، تبوله فوق الهشيم المنخر بالسوس ؛ أناته لحظات
دخول الجثث الشريرة المثقلة بالأبخرة ، وبخاصة الجثث المترفة ؛
موت روتيني كان يثقله من أخمص قدميه حتى آخر شعرة في رأسه .
وكان السؤال الملح القاتل : متى يحل الخروج ؟!! .

كل شيء يعني له الموت ؛ حركات الديدان اللولبية فوق جثث لا
تستطيع أن تفعل شيئا ، اللحظات التي تفتح فيها القبور محدودة ،

البكاء والمويل ، أرواح ميتة تحمل روحا ميتة، تضمها إلى الموت ،
تخرج ، تغلق القبر ، الأموات يتلاشون شيئا فشيئا .. القبور تفتح ،
القبور تغلق .. القرون الممتدة .. القبور تفتح ، القبور تغلق .. شيء
مخيف يقتل في جوارحه إحساس الخروج ، الموت هنا أم هناك !!؟
يكتب ابن عناق عناوين الحياة بين ثنايا الجحيم ، وكل عنوان
مثقل برموز الأزمنة المقتولة في أحضان الداخلين أو الخارجين ..
موت في موت !! يطير .. يطير ... يطير ... يأخذ روحه ، ويعود
ينحدر .. ينحدر ... ينحدر... لبحث عن حبه ...!!

* * *

الحياة في القبور تحمل عشقا للجثث المقتول عشقها . وفي بعض
الأحيان كان عوج يركب الفرس المنهك ويطلق اللجام . يحمل في
جنبه شعرة واحدة، يطوف بها على الذين أصابتهم المصائب
الكبيرة.. وهذه تبدأ من عهد الوالي الخرافي الذي تعين تعيينا من
غير شورى ، حيث قسم البلاد إلى إقطاعيات .. قتل الأحلام ،
وشردها في المنافي ، تعيش بين خوار المواشي ، وهي تذبح في المسالخ
لتوزع على الأغنياء ، ويدون في الملاحق أنها وزعت صدقة على
الفقراء...!!

أخذ الموت كل شيء من حياة ابن عناق . هل هو خارج إلى الحياة
من جديد؟؟ أين حبه الذي يبحث عنه؟؟!!

* * *

يرى الأنوار قبل القيامة ، الأنوار المزركشة في كل الأحياء
والحارات . إذن كل العرب يشعلون النار من أجل الجائعين
والمشردين!! لكن البلاد غريبة ؛ فيوت الشمر تصبح بيوتا أخرى
متلاصقة بكثافة ، أو متباعدة مزركشة ، بعضها يعانق السماء ،
وبعضها يقبل الأرض...!! والناس لا يجولون بخيولهم حول القبائل ،
ولا تدق طبول الحرب ، والنساء لا يذهبن لإحضار الماء والخطب. إنه
يرى في حلمه عالما غريبا!! الطعان بالسيوف يتحول إلى التمايل
والصخب...!!

* * *

إنني أجوع للحب !!
ما العمل؟؟ أين الخبز؟؟!!
الماء ، القبر ، الجثث ، التقيؤ ، الدوار في الدماغ ، الجسد
المتهاوي ، لا للقبر ، لا للظلمات ..
العالم يغيب خلف غيمة صماء ، وهو يحمل معه امرأة خيرة تضيع
في كل المواسم...!!

٣. من أنا؟!

يتكون لدي شعور عميق للانطلاق بالشوارع ، أبحث عن الذكريات والتسكع . لا شيء يسيطر على ذهني سوى خرير الماء . يمر أمامي شريط من الحركات ؛ تتنوع الوجوه . ها هي آخر سيجارة معي . أمتص أخرياتها ، ألقها على الأرض ، أدوسها بقدمي . قلت له :

أين أجد الدكانة التي تبيع السجائر؟

قال بامتعاض : لا يوجد هنا سجائر .

أحتسي القهوة دون السجائر ، علاقة جديدة لم أعودها ...!! أجلس على الطاولة التي يجلس عليها شخص ما وما زال . أشرب القهوة بقماءة . أين السيجارة؟! خرير نوافير الماء الاصطناعية يلغي من دماغي أية مشاعر حميمة . يقتل ذاتي . يصقل في أعضائي حركات غير مريحة أو حيوية . يشمرني بالحاجة الضرورية إلى السيجارة . إنها الوعي ..

أنا عوج بن عناق سيد الماضي أتلهف إلى سيجارة !! .

شيء واحد يتخمر في شرايبيني : من أنا في وسط هذه الأقحوانة
الصاخبة بخيرير الماء؟! يا سبحان الله كنا نرتحل من أجل الماء
فأصبح الماء يرتحل من أجلنا!! حركات المارة في الهواء البارد المصنع
تقتل كل مشاعري. أغير جلستي في حركة خفيفة لأشعر بامتلاك
حقيقي للطاولة التي ركبت عليها نافذة الغباء .

أنظر حولي باختزال فأرى نفسي مشردا يحوم حول ذاكرته القديمة
ليقول كلمة لا ليصرف شيئا. أتوق إلى المغامرة .. لكني لا أجد الأمر
مجديا .. إنني الآن أقع في مشكلة نفسية رهيبة. يشتد الصراع بين
الماضي والحاضر .. جوع يمتلكه الموت ... آلاف من القرون
الضائعة...!!!!. كلي يتلخص في سيجارة!!.

يضج خيرير الماء في أذني، أتقزم ، التصق بممامتي ...

إنني بصيص من إنسانية دنيوية ضائعة ...

أجالس وحدتي ولا أتناقض مع حريتي ...

إن كل من حولي يشعلون السجائر .. ولا سجائر لدي !

التبغ أسطورة تدخل دماغي المقتول ..

الديدان تحوم حولي تتقرب حركاتي :

— ماذا جاء يفعل هذا هنا ..

— وأيضا بدون تبغ أو سجائر..!!؟!

أغلق النافذة، فألتف بالجريدة ؛ لأغيب عن الوعي..!!

٤. الصدام :

تتجشم نشوتي باقتراب كوب القهوة من النهاية. أشعر برغبة كسولة للبحث عن السجائر. أرشف قعر الكوب وأعطيه للنفايات ، فهذا الزمن لا يحترم الكوب الورقي أكثر من مرة .أنهض وفي نفسي رغبة البقاء ، فالجو يساعد على النوم .رحم الله الصحراء !!السجائر هي الهاجس الذي يلاحق أصابعي وفمي ودمي المذبوح . هنا تجليات البحث عن السجاجة وفي الماضي تجليات البحث عن الماء.القوم هنا يموتون من النوم والبطر. ..وفي عصرنا متنا من الشح والسهل .

أخرج...

أعود إلى المكان نفسه ؛ فأنا أشعر بحاجة شبه أكيدة للهدوء ، لكنني نقت على خريز الماء الاصطناعي ، لعنته لأنه أقوى من إرادتي ..أنظر إلى تنوع حركات المارة في الساحة .سمعت أحدهم يقول عن طابور من الصبيان : هذه فرقة الكشفة . قلت في نفسي : ليسوا سرية عسكرية على أية حال .أتمتع هذه المرة بشرب "النسكفيه " ..

يقترّب مني صاحب الكنيسة الذي يلتهم بها كل ما ألقيه من بقايا رمد السجائر على الأرض ؛ البقايا التي غالبا ما كنت أكرمها برجلي. الكنيسة تشد انتباهي ، والهندي الذي يقودها يشدني أكثر منها .. إنها تشبه الشيطان يجأر بصوت أجش .. والهندي يشبه الراعي الفاشل .. إنني أفرح لهما وهما يلتهمان البقايا ، هي بجوفها ، وهو بعينيه ..

فجأة يدب الصداق في رأسي . أتصور الكنيسة تلتهم فرقة الكشافة فأهرب لنصرتهم .. قررت أن أهرب من هذا المكان ، سرت نحو البعيد أصارع ذاكرتي ، أراقص مخيلتي الهاربة من مقبرة الصحراء إلى هذا العالم المجهول .. خلعت نفسي من بقايا الخرافة التي تلتهمها الكنيسة .. هربت راكضا نحو الخلاء ، فتعثرت بوجه امرأة باكية ، ثم صرخت إثر كسر في ساقِي اليمنى ، وحينها اكتشفت أنني غفوت للحظات على الطاولة المستديرة .. وما أن فتحت عيني حتى وجدت عيني الهندي تحثاني على التدخين ، وكان جوف الكنيسة ينتظر ، وحينها قررت أن ألمم أشلائي المبعثرة خوفا عليها من السقوط من جسدي في هذا "الهو" المتسع الممدود أمام الكنيسة الرهيبة ..

تشتمل السجائر . أضحك في عبي وأنا أتصور صاعقة رعدية تسطح جوف الكنيسة فتنتثر أحشائها على هذا البلاط النظيف وخاصة أعقاب

السجائر ؛ لأحرث البلاط وأزرع مكانه أعشابا برية تمتلئ بقطيع من الغنم، يرعاها هذا الهندي ، وأنا أترصد الذئاب على ظهر الكنسة التي تتحول هي الأخرى إلى تنين أليف .. وأشعل التبغ في جسدي حتى الفرق !!

أنا عوج بن عناق الذي كان سيدا لقبيلة من الهنود الحمر ، وهم يتمردون على البطر وبقايا الصداق والضياغ ، أصبحت أخاف من الكنسة ، وأدمن التبغ !!



٥. مديقة :

يختلط الحاضر بالماضي على عوج .. هل هو من أهل ثقافة القرون الدائرة أم من أهل القرن العشرين ؟! في عصره الماضي حطمت قيود القبيلة ، وفي عصره الحاضر كان خروجه من القبر مشروطا بكفالة ؛ فأصبح يعيش بكفالة ، ينزوي بكفالة ، يبتعد عن نفسه بكفالة ، ولو طلب منهم أن يعود إلى القبر مرة أخرى لكانت العودة مشروطة بكفالة .. قد تحمل حقيبتك الرثة فتخرج إلى عالم آخر ؛ إلى ما وراء هذه الأبواب المحاصرة بالقيود ..

وهناك ستصحو مع رياحك الغريبة ، وتقول :

ها أنت اليوم تضيع وسط الزحام والتشرد ، قد تعيش أو لا
تعيش، فكيف تعيش؟! ، وكيف لا تعيش؟! كيف تطوع ظلمة الليالي
الطويلة ، ولا تجد غير الإدمان على السجائر؟!
عقدتك الظلمة ، ولن تستطيع إنارة نفسك !!

تنظر بصمت ..
أفقيًا البنايات الغريبة ..
عموديا تخاف السماء التي تنظر إليك بصمت ساذج ، زرقاء تتجزأ
من الشبك الذي يلتف حولك ..

تلم شتاتك مرة أخرى ، ثم مرة أخرى .. كيف تعيش !!!
تلف عباءة حول جسدك النحيل ، تشعر بالبرودة تدخل إلى
ثناياك !!

إنك تعيش عصر الصعلكة! تضطرب جوانحك ، تعدل من جلستك ،
تشعر بحاجتك إلى الصخب الشديد ؛ إلى أي صخب مع الآخر!! لكن
القبائل تولع بالصخب على نواتها...!!

هذه المدن مستباحة ..
هذه المدينة آسنة ..
هذه الخربة تقتل أطرافها..

لن تهدأ ما دمت غير قادر على تحديد وضعك في عالم يصر على ألا
يولد من جديد ..

لن يفهمك القوم المتحاربون فيما بينهم ، وسيقولون : إنك ظلمت
نفسك ، ماذا تستفيد من احتجاجك على سياسات الوالي ؟!

لا تقاوم الغنى ...!!

غبي من يعشق الفقر !!.

تجد نفسك متشوقا إلى رؤية حامل الكنسة وهو يلتف حولك ، يأخذ
ما يشاء من أعقاب السجائر !!..تغلق النافذة ..وتفتح الأبواب إلى
النهاية على الطاولة المستديرة...!!

٦. الحب :

اترك الدخان .. اترك العصيان ...!! دع القبائل تتكالب ، فالشر مقصلة
الأعناق ..وتصر أنك تربح ، والعذل يحرقونك بقولهم : إنك وحدك
خسران !! في المصريين سمعت هذا الشعار يرن رنين شيطان يقرع
جمجمة فوق جبل من قمامة ...!!

يقولون : ألا تخجل من نفسك ؟! ألا تبحث عن زوجة ؟! ألا تشعر
بالحب والحنان ؟!

كان شعارك : “ العشق جنون يترفع عن وحل الأذهان .
كيف يكون الاستقرار ؟! أن تشمل التبغ العربي . أن تشرب القهوة
العربية . أن تروي قصة النصر في معركة داحس والغبراء . أن لا تثور
لدم المراق هنا أو هناك !! عد الليالي ، وانس قضية جمع زمنك المراق على
حجر صلد . لا تلتصق بالريشة أو المحبزة .. واعترف بحق الحيوان في
البحث عن طعامه فوق المقبرة !! .

بدأت أبحث عن قطرة حب واحدة وسط الجحيم .. عن خفقة رملة تشرق
في الصحراء الشاسعة .. عن التئام للجروح المتقيحة .. لكن تتشابك حولك
القيود والأسلاك ، فتدخل في مضيق زجاجي مظلم ، ثم تسير في
الزجاجة .. تصرخ فيك جدرانها : أين الكفالة ؟. تردد معها : أين
الكفالة ؟! يغمى عليك .. تهذي .. تبحث عن ورقة ، تنظر في الوجوه
نظرة غباء .. كل الوجوه وافق شن طبقة .. إن الزمن لا يختلف
كثيرا .. تبتئس .. تتقلص .. تحوي ذاتك .. تبحث عن مخرج كي تسير
ضد الموج .. كي تكون الموج أو السفينة التي تصارع بها الموج .. تنسى
الهندي الذي يخطف بقاياك عن الأرض .. تنتبه إلى الكنسة الكبيرة ..
إنها تستطيع التهامك كما تلتهم بقايا سجاورك .. ترتجف منها ،
تتشكل عندك عقداً أخرى ... قد تصبح نفاية .. تنظر إلى وجه الهندي : لا
تعجبه كثرة إشعالك للتبغ !! .

٧. الصمت :

تفض الطرف . تترفع عن الصفائر . تمشي نحو الشروق . في الغد
أمل يظهر نوره من بين فكي كماشة . الحوت يبتلع عوج ، يليقه على
الطاولة . تأخذه الطيبة وترضعه حليباً . الكماشة تقتلع كل الأشياء .
أنت تجري بصمت . لا تلتفت للنباح ، أوللنمل يسير في خطوط رملية
متعرجة . تأكل ما تيسر بصمت ، وفي قرارة نفسك تفكر .. تراقب سير
النمل ، بعض النمل يضل الطريق .. يعود نمل ضل ، فيلتصق بخط
متعرج .. ثم يزداد ضياع النمل في الصحراء ، أو عندما ينزل عن السطح
حيث مراقبة المخاطر ..

تقرأ بصمت . تدخن بصمت . تتلو صلواتك بصمت . يريدونك أن
تضحك ، فبكاؤك يفتق جروحهم المتقيحة . أنت تهمز عصاك في وجه
القبيلة الضالة ! يا قوم : "إن الجذب يأكل المحيط ، فاقنوا عقولكم من
المسالخ " ..

إيه .. إيه .. لقد كنت سيداً غير مطاع في القبيلة .. هذه ظلمة الليل
الغبية تحيط بك .. لا تشعر بأي استمتاع عندما تقرر خرق جدار
الصمت . أنت تصارع الديدان التي تحوم حولك بصمت ! لا تبحث عن
النور في الظلام ، لا تجمع الحطب ، لا تضرب الصخر بالصخر .. إن

الزوابع تتشابك، عليك ولا تجد غير الكنسة .. وعلامات استفهام
مختلفة الأشكال من وجه الهندي !! .

إن حرارة الجمر الغادر تختفي شيئاً فشيئاً . النار النار .. تدب في
الهشيم من جسدك .. تظهر على وجه الرمل طبقة من الرماد .. لا
وجود للحطب الصلب .. النار النار .. لا تحرق غير دواخلك .. فالقوم
يسرحون ويمرحون، وأنت على سطح الطاولة، والمطلوب منك أن تنزل
إلى جوف الكنسة .. إنك تسمع طق طق طق طق طق من بين أضلاع
الحطب !! .

٨. الشتاء :

بعد الشتاء ينبعث العشب ، وترتفع حبال الفسيل فوق السطوح
لتواجه الشمس .. الربيع نور ينبت في ظلمة الأرض .. لا بد من أن يحل
الربيع !! لن أموت مرة أخرى قبل أن يحل الربيع !! في جسدي خلايا
لن تنمو إلا في الشتاء .. أين بشارات الربيع ؟ أين غيمة الشتاء ؟ أين
المطر ؟

تتفاءل ، تياس ، تتشاءم ، تتشاءل .. في كل الأحوال لا يشك إيمانك
بقدوم الربيع .. نوار اللوز في الشتاء ، انفجار البراعم في الشتاء ،
برعمك المتقيح متى ينفجر ؟ الأرض الغريبة تحمل عشقا للحياة .. !!

كيف تتحول بقايا الخبز إلى رغيف كامل؟! كيف تتكسر
الأقفاص؟! متى يأتي الزمن الذي يكون فيه الموت باختيار؟!

* * *

لكل بداية قلقها!! الطير يبني العش ، فيأتي عابث حاقداً
ليهدمه في ثانية ، لم يدرك كم عانى الطير الصغير من بناء عشه
الحميم!!

* * *

في زمن الضياع تخرج من القبر إلى الجب .. يفرربك التوقيت
كثيراً . ترى نفسك سعيداً . تصدم بالواقع . إنك لم تستطع أن تخلق في
الجب أكثر من صراك مع الجدران المسلحة .. لن تملك نفسك كي تصنع
منها زجاجة ماء للعطشى في الصحراء ... أنت معاقب حتى على
أحلامك الساذجة!!

تبحث عن الماء والدفء في الليلة التي تهب فيها ريح سموم ،
تبحث عن حزنك فلا تجد مواقعه ، تدرك أن الدواء مستحيل ما لم
تتنفس باختيار!!

يضرب عوج بن عناق رأسه ، ينظر حوله ، إنه لا يرى الأشياء كما
يجب ، عيناه تغفوان على الطاولة ، أصبحت له لحية طويلة ، وأخيراً
تسقط العمامة عن رأسه .. إنه يحلم ..

أنت تخرج من قرون ، تهذي كثيرا ، تنزوي ، تفكر ، تصمت .. إن الحزن لن يجدي ، في كل الأحوال ، إن لم يتفجرا !!

من قبرك اخترت الصعود أو الهبوط ، كنت تبحث عن بريق في ليل مظلم ، فاخترت الشوارع لتسابق ظلك ، حيث تدور في مخيلتك دوامة شبقة ، ثم تصق أوتارك الصوتية ، فتهوي نحو قدميك ، تلتصق بالأرض وتمض رجلك ، تزحف لتصارع عجزك ، تلمه بفمك ، تتأوه ، تعوي ، بكل تأكيد لن تجد المأوى في مقبرة المعزة !!

تصرخ .. لم يبق فيك غير هذا الصوت ، وبقايا كابوس ، تقهقه للمرة الأولى .. يرتفع صوتك !! ماذا لو أصبح عوج بن عناق من سكان الأكواخ ؟! له زوجة تخطط ما يفتق من ثوبه القديم ، وتقهقه في وجهه ، وتشعل له الحطب عند مجيء الشتاء ؟!!

٩. عوج بن عناق:

قال الطبيب : إنه مجنون هذا الرجل ، لأنه يدعي الخروج من القبر ، ويطلب أيضا بذاكرته التي نسيها هناك !!

هرب عوج بن عناق عن الطاولة التي نوم عليها خوفا من جوف الكنسة ، وراح يجري نحو المقبرة العتيقة ، وجلس عند قبره القديم الذي كان مغلقا على الموتى الذين تركهم خلفه .. نظر إلى الزجاجات

الفارغة الملقاة قرب الشاهد ، كانت هناك زجاجة واحدة عليها سدادتها رغم كونها فارغة ، أمسكها وتأملها ، ليس من المعقول أن تفرغ على القبر، وتغلق ، وترمى !!

نزع الغطاء عنها ؛ فإذا كتلة من الدخان تقفز وتغوص في الرمل ، ثم يخرج بعد لحظات مارد ضخم مشوه الخلقة ، يبتسم ولا يضحك ، ويقول بصوت ناعم : شبيك لبيك عبدك الضعيف الحقير القوي بين يديك ، القصور والجنان ، والجواري والقنان .. وإن شئت أجعلك السلطان أو على الأقل سيدا في خربة بني دار ...

قال للمارد : هل تصدق أنني خرجت من القبر

رد المارد : أصدق المجاز يا سيدي ، وإلا فأين القيامة !!؟

- ولكنني خرجت من القبر !!

- دعك من هذا ، واطلب ما تريد لأحققه لك !!

- أن يصدقني الناس ، ويبعدوا عني المكنسة الكهربائية !!

- يا سيدي أنت مجنون ، فأنا عشت في الهند والسند ، وبلاد

العرب ، وأفريقيا ، وأمريكا الجنوبية ، وما طلب مني أحد مثل طلبك

الغريب !! خدمت أسيادي من الملوك والرعا ، وشيدت لهم القصور

والجنان ، وأنت تطلب مني أن يصدقوا الخرافة !! وماذا تستفيد أنت لو

صدقوا أو كذبوا ..

- حتى أصدق أنا أنني موجود !!

- قه قه قه قه قه قه ...

شبيك لبيك يا سيدي سأحملك وأرميك من فوق المئذنة ، وبعد أن
تموت سيصدقون حينها أنك موجود ، وستصدق أنت أنك لم تمت قبل
ميتتك الأخيرة !!

ترفع الكفن عن جسدك المقتول ...

ينتفض الجسد ، فتحيط بك الأصوات:

لا تخرج من القبر ، إنه أرحم .

وتقول :

إنني أعود من أجل الجروح المتكدسة في قلوب الخائفين على
أعتاب:

المعاش، والسياسة ...

المعاش، والسياسة...

١٩٨٦/١/٥م

[هذا ملخص من أوراق كثيرة مخطوطة بطلها عوج بن عناق .. أرجو أن تتاح

فرصة أخرى في المستقبل لتابعة نشر ما تبقى منها]

- ١٣ -

فيافي التيه:

جمانة المشرفي وجعفر الجعراي

[تموت الأرواح عندما يشتمل الجسد]

١٩٩١/٩/١٦ م

١. جمانة المشرفي:

الشمس تتلون بالصفرة كامرأة فقدت بريقتها، مكتوية
بالحزن، متألمة ألا تفقد تمردها وحرارة الجسد.. أما نسمة الهواء
الصحراوية الجافة فهي صبية بدوية تميل إلى الليونة بعض الشيء؛
لأنكسار حدة جدتها العجوز التي تجمد كل الأشياء حتى سحنة
الهواء الصاخب المليء بالغبار والبقايا المتناثرة...
وها هو الزمن الخائف المختبئ يهفئ إلى حد ما بين نهايات
النهار وبوادر الليل المنتعش بالبرودة بعض الشيء... وهناك الصحراء
جسد يتمدد تحت الأفق حيث النجوم البعيدة إلى ما لا نهاية...

في يدها كتاب " ألف ليلة وليلة " .. تجلس في العراء .. أو هكذا تتخيل نفسها ، نزلا إليها ، فقامت لهما ، وقالت : ارضعا رصعا عنيفا ، وإلا أنبه عليكما هذا المفريت .. ثم أخرجت لهما من جيبها كيسا ، أخرجت منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما ، وقالت أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة قرن هذا المفريت ، فأعطيني خاتميكما أنتما الآخران .

الحكاية هي أن البحر والعراء صنوان لا يفترقان ، فعلى شاطئ كل بحر رمال صفراء أو جسد أصفر ، والرمال الصفراء هي جوهر العراء وورود مياه الشواطئ الآسنة ..

كانت الرمال جسدا / أنثى صاحبة شبيقة ، وكان البحر ذكرا .. أصبح مهزوما .. فتفتت الجسد إلى رمال ... وماذا حدث بعد ذلك ؟ من الثبج جاءت جمانة المشرفي شبيقة إلى العراء برفقة البحر المهزوم جعفر الجعبراني . نهلت من رمال ملتصبة .. جمعت الخواتم الذهبية .. ارتصعت رصعا عنيفا .

هذا ما يقال ، وأعوذ بالله من التقول فيما لا يقال .

* * *

رن جرس الهاتف المبحوح عدة مرات ، لكن الجسد لم يقم من الفراش ... التعب ينتهك جسدا مهمل بعد زمن صاخب ،

بعد عراك جسدي أطاق بالمقاومة القصدية المدعاة إلى قمر
هاوية لزجة ، فبدت الأشياء غير عادية... صراع بشري شبق يحيل
اللحم اللزج إلى لحم مغسول برائحة العرق والتبغ وما يدفع بعد طلوع
فجر الساعتين المذبوحتين على سرير ما ؛ من أجل امرأة جاءت من
لهيب جهنم تمارس البذاءة

* * *

وماذا قالت في مذكراتها التي لم يقرأها أحد غيرها ؟
"كان إمساكي بعدة بطيخات بيد واحدة في آن واحد هو أعلى
درجات العبث في المراء ؛ بل هو القدرة الانتحارية اللذيذة ،
تتوجس الهوس والجنون، ومن يأت لي بالمتعة أعطه كل الثمن ..
أدخله إلى جهنم آمنًا مطمئنًا.."

وعلقت على ما كتبت:

"لم تعد المتعة تنحر جوانحها أو تؤثر في جسد سميك مملوء
بالتبلد وموت الحياة.. يفيض التبلد فيصبح جسدا عاريا يميل إلى
سمرة صخور البحر المتعفنة عندما يغيب عنها الماء ، أو عندما تتصل
بها مياه آسنة تجعل اللون البرونزي قاتما يغيب منه كل بريق ، ولا
يبقى غير المراء ومسحة من الشبق تأكل الأنثى ... تمتص نسمة

الرطوبة وبقايا الثبح ، حيث وجدا مختبئين أو فارين من لهيب الشمس في ظل شجرة يابسة..
جسد كله العراء يتفتق في ذلك الرمل عن ذهنية؛ عن أمنية
تعيد هلين طروادة لتؤكل في طبق كسمكة مقشرة .. ثم ترمى البقايا في
بئر عميقة، حتى لا ينكشف سر الهزائم...

* * *

وما المتوقع في مثل هذا المأزق للخروج ؟
برودة أو سخونة الماء المناسب من عل ، ولين الصابون المفعم
برائحة معطرة ، والتحول إلى حركات متمردة بين الامتداد والتقليص
والقرصات المؤلمة، والتعوز من شر الشيب الذي بدأ يتناثر
كأرض بور تنبت شوكا .. كل هذه الأشياء غير مجدية .. إنه الشبق
الذي يقتل نورانية الجسد..
ولا يبقى غير جهنم...

لا بد من التفكير في المسألة!!!
فكرت ثم فكرت... فكان نائما ، وهولم يعد قادرا على فعل
شيء.. إنه كتلة من اللحم المتضخم لا يتجاوز صوتها أنفها .. هل
تحرقه لتصل إلى قرار عظمي ما ، يساعدها في معرفة أصل
الأشياء الضعيفة .. جسد متبلد وجسد يحترق .. والعراء فاغر فمه

يبحث عن رطوبة ما تتدفق من بين ثنايا الجدران الحجرية المصكوكة
بالنحاس بإحكام على من فيها .. إنه الزمن الذي تقتل فيه الروح
لأجل موت الجسد .. إنه يتحول إلى عراء..

* * *

٣. شبق:

- احرقني الجسد في الرمل الحار الملتهب ، ولا تمودي إلى مياه
البحر المرتعبة قبل أن تشعري به يتحول إلى رماد ثم إلى رماد..
- ارتصمي واختزلي وانبشي اللحم لتفتسلي في البحر مائة ألف
مرة ، وتحترقي أضفاف هذا العدد المحدود المشدود إلى ذيل حوت ..
- الفأر لا يملك أن يفعل شيئاً في جسد هو الآن متمرّد موحش لم
يتوان لحظة عن صيد لحوم البشر واقتراسها.
- الفأر لا يملك شيئاً كي يحرق الجسد ومساماته المتقيحة. إنه
غير قادر على أن يجعل الفراش يلتصق بالفراش ، غير قادر على أن
يخترق الحد السادي واللعة الجسدية...
- فليكن موتاً وعقداً شرعياً وأسطورة للمعجز والغياب والفضيحة ..
خذي الجسد إلى العراء واحترقي مع الرمل في صهد التنور في زمن
تتوسط فيه الشمس عمق السماء أو عندما تغيب تاركة حرارة
الرمل تحرق الوجوه...

- خذي هذا الجسد ومري على الشوارع صارخة في كل الوجوه:
هذه أنا جمانة المشرفي ارتمي في كل قفار العراء الملهتهب. ولدت
من رمل ، وتقيأت البحر الآسن ، وجئتك هنا لأحترق مع جسدي ..
أنا التيه الباحث عن التيه أو الموت ، أنا كل الإناث القادمات من
لهيب النار .. أنا الأنثى العاصية سيدي شيطان وأفى .. أنا الأنثى
المشاع .. أنا إلهة الشبق وجهنم الحمراء .. من عارك جسدي يدخل في
جحيمي آمنا في سلام ...

- تعودين مهزومة إلى الصراخ كالمومس العمياء.. من يكوي
الجسد مائة كية في لحظات هو رسولي إلى العراء..

- تشتمل حرائق الكون ... تنساب لحظات شبق مجنونة ..
تتجمع في الحلق .. تكاد تخنقني .. تختزل العينين ، وتذهب ببريقهما
المغولي الشرس .. جسد فيه مائة ألف طمعة وما زال بورا .. لا يخجل
من ألف محراث حديدي..

القهوة ذات مذاق عادي، والسجارة أنتنت، والصفعة
الفاضة، والانسحاق المجنون، والخمرة المهربة المهترئة ، وهذا
الشيء الممدد... إنه الجوع ولا شيء غير الجوع والمذلة .. كيف

أتوب؟! كيف أخرج من موتي؟!.. كيف أزرع في العراء الياسمين
والنعناع؟!

- العراء وهذا الجسد .. أيتها المرأة العاصية ، اسكبي الجسد على
صفحة من النحاس، وتحمصي في حرارة الشمس ، بل احترقي
فوق الرمل.. لا وقت للعار .. لا وقت للعار .
- أنا من بقايا خادمت المابد القديمة .. وفي جسدي موبقات
الحياة.

* * *

٣. تزييف:

كان العراء مجروحاً متقيحاً عندما بدأ الراوي للزمن الصعب
يروى قصة امرأة هتكت ستار الحياء وقرايين الموتى .. وعندما شاعت
حكايات الإيدز كانت جمانة المشرف تحمل أوراقا ، تثبت
خلوها من كل الأمراض ...
وكتبت في نهاية الأوراق ملاحظة تفيد بأن جسدها نظيف كبلور
شريف... وأن ما يدور حولها من إشاعات هو رياح الحساد التي تذروا
الرماد في العيون...!!..

٤. مقامة البحث عن دليلة :

قال الشيخ المسن لزوج ابنه الأولى : عندما يحضر قولي له : سأل عنك شيخ عجوز ، ويوصيك أن تغير عتبة بيتك ..إنها لا تدر الحب !!".

قال لها : ألم يدخل ؟!

قالت له : لم أدخله!!

قال لها : أنت طالق بالثلاث ..

وجالت جمانة ..وصالت ..!!

* * *

اختلفا في الدخول إليها عندما التقيا صدفة على المدخل .. كانا رفيقي ورق.. فقرعا الجرس معا ..أدخلته.. فعاد الآخر مكفهرًا يضرب يدا بيد .. اتصل بهم .. دخلوا فوجدوا المناشف مغسولة .. اعترفوا ثم أنكروا .. حكم عليهما بالسجن شهرين .. فخرجا بالكفالة بعد يومين .. ثم غابت بعد أن تزوجت من جعفر الجمراني عامين كاملين .. فأظهرت طفلا وأكاديمية الأبناء للفنون الجميلة .. بإدارته وحرمه المصون . وحضر الناس الافتتاح فصفقوا بانسراح ..فوزعت عليهم التفاح..وعندما جاء رفيقه الذي منعه من الدخول يزوره قال له : "ثبت عتبة بيتك " ...

* * *

أصبح زوجها القديم الذي طلقها واسمه عبد الله الوحشي يراقص أفكاره .. وينتظر الشروق في وقت الغروب أو ولادة البروق في زمن السدود .. لديه آمال لا تحدها حدود .. ولا تقيدتها قيود .. يبحث عن امرأة تحبه ويحبها ، حلم بها في المنام ؛ وأن اسمها دليلة مسجونة في قبو لدى جمانة ..

* * *

أما جمانة المشرفي يا سادة يا كرام فإنها أصبحت زعيمة .. ترأس عراء الطفولة .. وتشرف على مراكز الأمومة .. وهي بأمور البلد عليم .. هذا في الظاهر .. وشأنها ذاك خاف وقاهر ..

كيف تصفقوا يا ناس للوسواس الخناس .. فكلنا صغار في حارة الكبار .. ونحن كالطيور في حارة القبور ... هذه أخبار بلا أشر ولا فشر .. قصصنا خرافة من عالم الصحافة .. أقدمها لك يا صديق لتستفيد من غير أن أعيد أو أبهم المسائل في غير طائل .. فحاذر يا شديد أن تصبح من العبيد .. أو تخون الأمانة في عصر الإهانة .. هيا ساعد دليلة كي تخرج من ثوب جمانة وتتزوج من عبد الله الوحشي سيد العشق والعشاق .. واحذر جمانة سيدة الجسد والخيانة ..

قال له أبوه قبل الوداع الأخير: اسمع يا عبد الله ، عندما تجد دليلة ، خذ تلك المرأة وحافظ عليها قبل الشروق وبعد الغروب . وأخيرا

وجدتها في حقل خرب ، فسرقها وعقد عليها القران ... لكن جمانة
اللمينة أخذتها مع القبيلة وباعتها في سوق النخاسين لكل البياعين ..
وضاعت دليلة بين حانا ومانا .. وصمم عبد الله الوحشي أن يبحث
عنها مرة أخرى؛ حتى لا تدور بين الدور، تشخذ الكسرة في قبور
البصرة...

٥. رواية الجعراني :

روى كل ذكرياته لكل المستمعين .. أحدهم أكنم المؤامرة.. وقرر أن
يمد الخيط مع جمانة .
- هل تعرف مغامراتك ؟
- ربما تشك!
- إذا عرفت ستقع المصائب فوق رأسك!!
- نمنا معا قبل العقد!!
- الحال تغير الآن!
- لا تخف علي!!
فتح النافذة .. وصف كل المغامرات وتفاصيل الجسد.. أضحى
الفراش هو التفاصيل العميقة... تعرت في المراء ..

اكتشف الجعراني اللعبة ، فثارت فيه الحمية الكذابة ؛ ولمن
فجوره.. ثم شتم اعتقاداته عن تأخي اللحم واللحم..
كانت صامته مع الحرام .. لا ترى وجهه يختلف كثيرا عن
وجهه.. كانت امرأة آثمة .. وكان يعرف كيف يصطاد فرائسه..
في عالمهم لا يمكن أن تنبت البذور .. إنه عالم الجسد.. الخوف من
الموت .. الجسد عابد ومعبود .. الجسد أسطورة..
ماذا يحدث هنا وهناك .. أوغاد!!..
إنها لا تشك .. بل تمارس الرذيلة في بلاد القبيلة..وتصور
الأشياء الحميمة .. تعرضها في البداية وقبل النهاية..

٦. منامة دليلة:

قالت الجارية لسيدها الذي اشتراها من فار بمعرفة السمسار :
بلغني أيها الملك السعيد ان أهل بلاد التيه أصبحوا في تيه التيه بعد
الحرب السابعة .. تغزى بيوتهم وتنتهك أعراضهم .. وهم إلى
بعضهم ينظرون .. ويتشفون .. وفي كل واد يهيمون .. وعلى أعتاب
هيئة الأمم المتحدة يتسابقون .. ولا يملكون غير الشكوى
والاستنكار..حياتهم عار في عار .. وجاريتك المسكينة التي تقص
عليك أخبار أهل الزمان والعربان هي ابنة مثقال الودعي..جرجروه إلى

المحافل ثم قتلوه .. وعندما قرروا البحث عن أوصياء لحريمه تنصل العربان وقالوا لا أحد يقدر على نساء مثقال .. اقترحت السيدة جمانة أن نباع في أسواق النخاسة.. حملني شمشون إلى السوق وباعني كذبيحة .. أخذني السمسار وقال : ما اسمك يا جميلة . فقلت له أنا دليلة . امتعض وقال سميناك منذ الآن الجارية جليلة .. انتقلت من سيد إلى سيد .. وعلى ظهري ختم صك بيعي وثيقة.. يقولون : هذه الجارية لم تعد تنجب الصبايا والبنات .. إنها للفناء والحفلات .. هي خادمة ممتازة .. وفي الفراش وسادة..

- اللعنة على السمسار لم يعطني وثيقة أصلك وفصلك .. خدعني خوفا من طردك .. هيا نعد إلى بلاد اليهود..

- حدد واختار ، وإذا كنت محتارا فاعتمد على السمسار

- أدفع له دولارين آخرين ؟!

- ليس لك حيلة ، فأكمل الجميلة!!

وانتقلت الجارية المسكينة التي كان اسمها دليلة من سيد إلى سيد.. وأطلقوا عليها جليلة ، وهي تصر على أنها دليلة .. وأن والدها المثقال سيعود محملا بالأهوال.. مسكينة ما بيدها حيلة .. تنتظر من

يخلص دليلة من الجارية جليلة.. ومن سيدها السمسار الذي يمرضها
للبيع بدولار..

٧. النخاس:

وجه أصفر كالعراء .. وشعر أغبر ككومة نفايات.. متزوج ولديه
أربعة أطفال يدعي الأدب والشعر .. ومعرفة القصص والأخبار .. وحفظ
ألف ليلة وليلة .. يحترف بيع الجواري .. وله خبرة أو كما يدعي في
الشراء .. يدافع عن أخلاق أسياده .. هو وسيطهم الأمين في أسواق
النخاسين .. ماجن له باع طويلة في العلاقات اللعينة .. ولا مجال
للمواظف من وجهة نظره في ديار الفبار صال وجال عندما كان
غراً.. وبعد الزواج ادعى أنه تاب لا يفارق العبادة إلا إلى العبادة ..
يبدأ الحكاية بالصلاة على النبي..

يجلس في مجالس الشرب ولا يشرب .. يتصل بالأفاضل .. ويكثر
من مسامرة أصحاب المواخر..

أحب جمانة ؛ بل قل اشتهاها ، لكنها حقرتة : سمسار وسنه
كبيرة .. تمنعت عليه رغم مغازلاته العديدة التي تتدفق حسا
ومياصة.. شرب ذلة .. وادعى الكبرياء والتزهّد .. يعمل بجد في سوق
النخاسين .. ويقبض الأثمان بعملات الأمريكان..

.. يتقن وصف الجواري ، والحديث عما جرى
في الأماسي .. ويشعر في الغزل والسياسة .. ثم يحضر مجالس
العلماء .. ويهتم بالمراقص والنوادي .. يتفق مع الحلال فيقول هذا فعل
حرام .. ومع أهل الفجور يقول أمر مباح لا محذور ..
تاجر حريف .. يتقن اللعبة ، ويلعب بالعملة .. يدعي التفاجر
ويصر على التفاخر ... وإذا اكتشفت له كذبة يرد مازحا : إنها
التجارة ، تزلق اللسان وتضيع الولدان .. والحياة أحيانا من وجهة نظره
تتطلب دعارة الكلمة .. ينادي يا ستار ارزقنا الجواري .. وطيب لنا
السراي .. يصفها من الليالي بصفات جميلة : " رشيقة القد ، قاعدة
النهد ، ذات حسن وجمال ، وعيون كميون الغزلان ، وحواجب كهلال
رمضان ، وخدود مثل شقائق النعمان ، وفم كخاتم سليمان ، ووجه كبدر
في الإشراق ونهدين كرمانتين " اشتر كل هذا بدولارين .. وعبارته
المشهورة : " يا حسرة على البصرة. "!!

٨. رجل

عبد الله الوحشي : ما الذي يحدث الآن ؟ لجمانة كل شيء !!
إنها تتفجر إلى آلاف القطع المعطوبة المتعفة ..
هذا أمر لا يمكن التوقع به أبدا إلا في موت الحلم ...

الأشياء تنزاح إلى عالم من الخرائب والكهوف .. الأرض
الحمراء الخصبة المفعمة بالأنوثة الطاهرة والتواطؤ مع الربيع المتلفح
بقناع من الحياء تتحول بين طرفة عين وأخرى إلى أرض بور .. المرأة
تعنست ففقدت وجهها .. تجعدت الأشياء .. البطن منفوخة والوجه
معروقة .. رمال تتمدد إلى ما لا نهاية..

* * *

عبد الله الوحشي يختلف عن الآخرين؛ ليس في الشكل
فحسب؛ وإنما في تلك القدرة الأسطورية التي امتلكها أبا عن جد؛ قدرة
دفعته إلى حرق آمال جمانة عندما هجمت عليه وهمت به .. وقدت
القميص من دبر .. رفض الانبطاح مفضلا فقر العيش على معاقرة
الخمرة في صقيع الموت .. التصق بالشعاب .. وشم جمانة سيده
الخيانة... الناس لا يفعلون شيئا بعد الحرب السابعة .. فهم ينتظرون
القوى الخفية لتزيع عنهم البلية .. يناديهم : " يا ناس الحل تحت
أرجلكم .. من تلك الأرض التي تقفون عليها ؛ فأقيموا الحد على
جمانة ، وكل الذين ضاجعوها .. أقيموا الحد على جمانة.. " .

ناداهم بكل الكلمات الحلوة .. فقالوا الزمن كفيلا بأن يقتصر
من جمانة وأشياها .. يأخذهم إلى جحر مظلم .. لا بد وأن يفعل
ذلك .. لكن الأمر يحتاج إلى شيء من الصبر .. إلى شيء من التمني ..

نترك أمورهم تستوي على نار هادئة .. الإيدز في انتظارهم ... سنقيم
الحد على جمانة والحجر الصلدينادي بقيامة القيامة .. لم يبق
غير الخسوف والكسوف...

- ألم نعش في الخسوف والكسوف؟!

لم يعد يملك غير حزنه .. كانت جمانة صرخة فاجرة .. تركته
في حاله .. وتركها في حالها .. لكنه لم يترك قصتها تضيق في
المراء... كان يروي ويروي في هذا الزمن الصعب حكاية جمانة.

هل سمعتم بقصة جمانة؟! .. هي السوس الذي ينخر في عظامكم
عندما تتحولون إلى مرضى مزمنين.. تموتون تحت أقدام الجسد الموبوء
ولذة الجحيم في الجسد العاهر..

في جمانة سيدة الموت والخيانة تضيق أساطير بطولاتكم، فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين ..

٩. مجرى جمانة :

لم يبق على غياب الشمس غير ساعتين ..
تمرغت بالماء المحلى برغوة الشامبو..
ثم أشعلت سيجارتها ، وهزت الماء...

شيء من اللذة ينساب إلى المواقع .. نفخت بقايا التبغ من
الأعماق.. مصت عقب السيجارة . اللقاء لا يعني أكثر من انسياب
مجرى الماء على الجسد .. أين موت الأنثى؟ أين طقوس الموت؟؟!
كيف يمكن أن يحرق جسد تمرغ بالمراء؟ أين الموت والمنقاء
الجديدة؟؟!

جاء صوت جرس الباب مبوحا .. فتحته .. هجمت الجثة..كان
العري باردا . لحظات مهزومة .. قدم لها السبيكة .. تمرد الهيجان
والشبق .. الدود يأكل في اللحم الحاقد ..
كان الجمراني يحوم في الحوارى؛ يلمن البيوت الآمنة؛ تلك
البيوت التي تأكل الأنوثة .. تغييب الرجولة كفعل.. وجسدها يتحول
إلى خرقة بالية، يمسح بها الغبار عن زجاج النوافذ..

- هل تحبني

- لا ترددي هذه الكلمة البغيضة .. يجب على جسدك أن يتمرد

على كل القوانين.

- والحب؟

- أنت تقولين ذلك؟؟!

- أحيانا!!

- ماذا تربحين من ورائه؟

- لن أفرط!!

- الكارثة أن يكون الأمان في الحب!!

يلتقي الجسدان الميتان .. يهمس بلغة الموت: " فاتحة المرأة
قبلة، ثم تصبح أنثى قوية؛ أنثى حيوانية ، تلد من رحم
الترو والفجر، تمتلك جسدها، تعطيه لمن يدفع..."

سوسة وحكاية... وماذا تفعلين يا جمانة بجسد يباع ولا يطبخ..

امرأة تبيع الهواء في العراء..

امرأة تموت قبل المساء وقبل الشروق...

يذبحون تيسا قرابين للجسد .. هذه سبيكة ذهبية!..

هذه قصص موءودة .. هذه حالة للاكتئاب الأعظم .. وفي ليلة

العرس المزيف ذبحت جمانة حمامة على سرير النوم، ورشت من
دمائها على القميص؛ ليقال من هنا بدأت الطهارة..

تخدرت .. تعرت .. تصورت .. ابتزت .. فاحت .. أشاعت

الخشوع والركوع .. وما بعد الشباب سوى الحجاب .. السيدة جمانة
أصبحت رئيسة.. وسيدة طيبة نفيسة...

10. الجعراني الحفيد:

فعل مسلوب.. وهو مخصي من عبيد الليالي ، يدعي الفحولة .

متزوج ، وكان يرمم مع جمانة ..وفي رواية أخرى أنه قواها..
يعلن بين الناس أن العلاقة معها روحانية رومانسية، لا تملكها
الشهوانية. يتقن اللف والدوران..

- ألا تخاف عليها من اللف والدوران؟!

- أثق بها.

- وأنت تخون؟!

- المهم أنها لا تخون.

- هل أفلتت عليها الصندوق؟!

- هي حرة.

- قلها من البداية!!

* * *

المخصي فحل .. والمرأة تخرج من قصر سيدها ،تلتحف السقف
والقش مع الحارس .. يهرب شهريار مهزوما إلى البحر .. يلاحقه
الشبق .. تموت الهزيمة بعد المارد ..هي ليلة أخيرة واحدة ،وتبدأ
حكايات السندباد وجواري البر والبحر...

* * *

بدأت الحكاية، ولما انتهت بدأت الأخرى .. إن شهریار ینام نوما عميقا، وجمانة تتيه في الفيافي: أنا ابنة التيه، أنا امرأة فاتحة صدرها، أنا هذا الجسد، من يحرقه يدفع، أنا السيدة هنا.. ضعوا الخواتم بين الثديين. أنا جمانة المشرفي، أنا بائعة الجسد، أنا من حملت جسدها فوق ظهرها .. أنا اللعنة العذبة.. أنا الجحيم؛ بل سيدة الفساق.. أنا الإيدز!!.

يضع رأسه على ركبتيها ، يطلب منها أن تبدأ الحكاية. تفتح كتاب شهرزاد الأخير، تقص عليه الحكاية من البداية:

" شهرزاد : قلت إن جسدي طوال الوقت يلهب خيالك؟!

السندباد : سيظل يلهب خيالي ، وأظل أحلم به .

- لكننا الآن معا ، وأنا بين يديك !!

- لا أستطيع أن أفعل شيئا إلا أن أسمع حكايتك

- يا الهي ، يا الهي ، لا يريد إلا أن يسمع حكاياتي ..

وفي الليلة الثانية بعد الألف ، كان هناك سلطان اسمه .. اسمه ..

اسمه .. ويفغوا السندباد . ويسقط رأسه في حجرها نائما . (من جمال أبو حمدان)

* * *

ضحكت حتى الثمالة . تحولت إلى هلوسة مجنونة . سيد الخبرة

والجواري صال وجال ..

إنه الآن يغط في نومه قبل أن يسمع اسم السلطان ..

استمعت إلى صوت السمسار بجانب السوق ينادي على الجواري :

"رشيقة القد ، قاعدة النهدي ، ذات حسن وجمال ، وعيون كميون

الفلان ، وحواجب كهلال رمضان ، وخدود مثل شقائق النعمان ، وفم

كخاتم سليمان ، ووجه كبدر في الإشراق ، ونهدان رمانتان "

ينام هادئا مطمئنا ...

والسمسار ينادي على خلق بقاع التيه :

الجارية بدولارين ...

خذها من التيه إلى التيه ..

ينام في حجرها كطفل مشوه؛ مل من اللعب مع بقايا النفايات..

١١. الجعراني الأب:

الشيء المسجى لم يتحرك منذ وقت طويل ،وغطيظه ينساب بين
أضلع كل الذين اهترشوا أجسادهم نقمة من نغمات الصفير المذولة..
يخمد الصراع الوحشي الضائع بين الجسدين ؛الجسد اللبوة
والجسد الفار .. يتلاشى الصوت مهزوما مكبوتا آنا...يخرج صارخا في
وجوه كل الذين يمر بهم يعرفهم أو لا يعرفهم..

- امرأتي شقة واحدة .. لا تقول آه.. امرأتي تخجل ..لن تنفع معها كل
مدارس الفنج في العالم ..لن تكون هناك امرأة قبل أن تتخلى عن فخذتها ..لن
نتحرر قبل أن نتحرر الفخذة .. الفخذة هي كل شيء..

قال رجل يستمع : اللمنة عليه ، ماذا بقي للحياء .. إنه جن ..لم
يعد يدرك هلوساته.. يضرب بيده عدة مرات على فخذه : من
هنا تحررت المرأة الغربية.

قال رجل لم يعجبه الحديث : إلى الجحيم .. من حقا أن تمارس
الهلوسة ..إنها أصبحت جسدا لكل المرأة في العراء.

قال السفسطائي : الرجل الشرقي رجل مريض؛ تفكيره في
الجنس، يتوهج كالحمار إذا رأى فخذة..

قال رجل : قبل قليل قلت : إن التحرر من الفخذة .. هل تستدرك؟!

يضرب بيده عدة مرات على فخذة ، ويقول : من هنا من هنا بداية الحياة..

* * *

الفاجر فاجر ، والوطني وطني ، والمؤمن مؤمن ، وهذا وذاك .. وله كل الوجوه ؛ كتلة من التنظير ، وجسد ميت ، أو عراء في العراء ..
- هل ما زلتما بعد عشر سنوات غير قادرين على التفاهم؟!
- هناك أمور يجب حسمها ، أنا طلقتهما أربع مرات ولم ينجح الحسم!! لماذا؟!
يهول الأشياء .. تبدو طروحاته منطقية .. يروي قصصا عن عشرين عاهرة .. نمن معه ، ولم يفعل غير القبلة .. انتهك عرض

الاحتلال عن طريق امرأة .. بدت النعامة فحلا .. وجمانة تنام في
العراء مع كل المرأة..

- والإيدز

- لا إيدز مع الاختيار .. إذا قلقك أمامك ، فهي بريئة..

- مجرب أو خبير!!

- تلك طردها لأنها خافت من القبلة .. وقلت عودي عندما
تصبحين جريئة!!

قال الرجل : عليه العوض ، ومنه العوض...!!

- عندما كنت غرا ، وضعوا أمامي كومة من الأوراق
المالية، وجلست على فخذي امرأة شقراء.. لكنني رفضت أن أتعامل ..
لقد تعذبت من أجل الأرض.. في حين هرب منها أغلبهم ، لأنها خالية
من الشيطانة جمانة ..

إنه ما زال يصصر على أنه وطني جدا!!

قال الرجل : آخر زمن .. المجانين في نعيم.. ولكنه ليس
بمجنون. إنه سفسطائي..

(وهنا ينقطع الكلام في حكاية جمانة. وكان هناك أوراقا أخرى مفقودة ، أو موجودة
في مكان ما ...)

- ١٣ -

تداعيات امرئ القيس على متن صخرة

[تداعيات الوعي : الرمل ، والطوز ، والصخرة]

١- الغربة:

لم يكن امرؤ القيس قادرا على تحديد مصيره الذي أصبح في
مهيب الريح، أو كما يقولون " بين حانا ومانا ضاعت لحانا"... لكنه
كان يتأمل في عالمه المليء بالمتناقضات.. وكانت قصائده خرافات العصر
الجاهلي بكل ما فيه من ضياع للقبيلة ، أو ضياع للشاعر في زمن
القصيدة الخمرية...

عندما وقف على تلك الصخرة الوحيدة الفريدة الكثيبة ملقاة
كمناة الثالثة الأخرى فوق بحر من الرمال الشاردة الأطراف .. نظر إلى
نهاية ما فوجد الشمس تصغر فيراها حبة ليمون .. أو هكذا
يتخيلها .. وللمخيلة أعذارها أحيانا.. الجهات كلها رمال صفراء
في رمال داكنة .. والبيوت الطينية المتراصة في خربة حزينه خائفة
تدثر نفسها في جلال من الرغبة والرغبة والخجل البشري المشوب
بملايين الحشرات والحشرات المشبعة بأنين الطفولة وقساوة التهاب
حرارة الشمس إلى حد يتصورها الإنسان المنكسر بداية الطريق إلى
الجحيم... هي بداية ترفع عقيرتها الحمراء لتلتهم بصهد حرارتها
الأخضر الجاف قبل اليايس المحروق..

هذه هي الخبرة التي كتبت عن نفسها في صفحة الجريدة
الرسمية أنها غطاس عجوز فاشل أمام ارتفاع الموج الصخراوي القادم
من غبار صراع القبائل.. إنه موج يخنق بسمتها اليايسة فيحولها إلى
لون من ألوان المرء الباهت والموت المجاني..

إنها أرض ميتة أو مقبرة أهملت منذ زمن طويل، فعافتها
النفس البشرية، وطلبت من الله ألا تنس فيها بعد الموت..

الطوز المنفصل لا يرحم أحدا... الأطفال الورود يموتون في
أحشاء أمهاتهم المحصنات.. أغلب النساء البواكير يفقدن ما في

أحشائهن بعد هجوم واحد من هجماته .. هذا عدو شرس .. يبعثر
الأحشاء ، يخنق الحناجر المستخيشة ؛ يحيلها رمادا لا تشعر بغير
صرير الرمل بين الأضراس ..
الطوز يسبي الكواعب حسنهن .. تاركا منهن بقايا وجوه ممرغة
بالتراب ، تملن الارتعاب الشديد والانكسار الهش أمام غضبات
الصحراء ، وربما أمام الاصطخاب الشهواني الشبق لشياطينها .
من هنا تتمدد القبائل فوق أسياخ من الجمر ، فتلقى في بئر خربة
تحولها إلى خام يباع بثمان بخس ...
وتوقع قبيلة بني عامر على بيع الديار وأطلالها بلاثمان ...
وتدور الجواري في الحانات يضاجعن الغزاة !!
وأمرؤ القيس ما زال يصرخ : اليوم خمر وغدا ...
ماذا عن غد؟! .

١٤. صفيينة :

بعد يومين من النكبة العاشرة ، يقال إنه وقف على تلك الصخرة
الباكية المسنة ، فشعر بلحظة ما من الأمان ..

أنا اقف على أرضية صلبة في معمعة الرمال الهلامية .. لا أهتم
بما يوجد تحتها من ليونة رملية متمعنة .. المهم هو شعوري بالأمان
والاطمئنان في لحظات وقوفي القصيرة عليها .. الوقوف عليها يكون
لدي شعورا يحيل اكتئابي المتيبس إلى حزن مخبوء وأمل
مشروح...إنني أعشق هذه الصخرة عندما تضيع المراكب !!

إن بطن الحوت أرحم من صهد الحرارة المتلفع بهيجان الطوز..
وفي عصرنا هذا تعتبر الصخرة مثل سفينة نوح عليه السلام..
يلتفون حولها بعد أن يصرخ الطوز في أجسادهم ،يتصارخون
كيتمامى وعت عقولهم الحزن والخوف، ففقدوا الأمان بفقد الأبوين..
تكشف العجائز عن صدورهن صارخات مستغيثات باكيات
باحترق:

- يا سيدة الصحراء....

- يا ابنة اليم....

- ها هي الضروع قد جفت وتمرقت ... وتيبست حناجر

الطفولة...

- أغيثينا يا واهبة المطر .. وقاتلة الطوز بالبرد..

- أغيثينا يا أم الفيث .. ارحمي الأطفال .. ارحمي البيوت وأنبتي

الشجر..

يقدم لها الرجال بعض الموتى .. تتعالى الأصوات باكية حزينة
متأملّة...

يغمز الطوز تلك الصخرة .. تتصارخ الأيدي المعروقة لخدمة
إلهة الخصب...

- إنه الطوز الطوز الطوز..

ترتفع الصخرة فوق الطوز .. أوينزاج عنها..

- الربة هي التي أوقفت الطوز مرات عديدة بغير المطر ..

وأحيانا توقفه بالمطر الرمل .. تلملم القرية موتاهها.. تدفنهم حول

الصخرة ليبقى قلبها معهم.. هل تشعر بما يعانون؟!!

إن الناس يخلقون أصنامهم بأيديهم ...

يحبونها ...

ويشعرون بدلا عنها...

٣- سيزيف:

عندما وقفت على تلك الصخرة فكسرت .. من أين جاءت هذه

الصخرة الضائعة ؟

وكيف لم تغمرها الأمواج الهاربة إلى الأفق المنكسرة إلى الرمل ؟
شعور جنوني ما أوحى إلي باعتقاد تصورت فيه الصخرة مرفوعة
على أكتاف رجال من المردة والجان والشياطين الأشداء ..

إنهم يرفعونها فوق كل حالات الغضب عقابا لهم على أفعال
اقتروها .. فأمست الصخرة صخرة سيزيف .. يجب أن يحافظوا
عليها فوق الرمل حتى لا تختنق تحته..

وجه الصخرة أملس مستو محدود لا يصلح أن يقام على جسدها
المنهك أكثر من غرفة واحدة .. أتوجه إليها في حالة من العشق
عندما تهمد أشعة الشمس .. أقف عليها فأنظر إلى الأطراف .. قد
أقفز فوقها لأتأكد من قوة المردة الشياطين ..

أحيانا أخاف من الاندثار معها تحت الرمال المستوحشة.. أهرب
منها ثم أعود إليها كطفل يبحث عن أمه العاقبة.. وفي نفسه أن
يرضع منها شيئا لكن نفسه لا تطيق ذلك.. كانت الصخرة عذابا لكل
الذين تصوروا شيئا مهما..

ربما تصورتها .. وربما رأيتهما جسدا بلا روح .. إنها في الرمل
جسد صلب .. لم أكن سيدها .. كانت عقابي المولود من غضب الرمل...
وفي الرمل نبحت عن الصلابة لنهدم الشقاء والجفاف..
وفي الرمل لا نحتاج غير المطر..

وفي الرمل تجيء الأحزان أليمة باكية .. غير أنا نعيش الصخور
والنساء والنوافذ ..

الصخرة جسد بلا روح ..

هي عقابنا الذي لا ينفك يطالبنا أن نحمله فوق أكتافنا حتى
لا يخنقه الطوز ..

وما أدراك ما الطوز؟!

إنه جب الاختناق !! .

٤- طوز:

عندما وقفت على تلك الصخرة كنت أقف بشموخ فيطمئن
قلبي.. أبعد عنها فيقلق فكري وأنزوي .. أبحث عنها في اندثارات
الرمل عندما تضيق دماغي .. أتأملها .. أتأمل العلاقة بينها وبين
صخور البحر .. الصخرة ملساء كالأنثى .. لكن حرارة الشمس أكلت
وجنها ومفاصلها .. وفيها بقايا من اللون الرمادي ..

إن الرمل أفقدها لون البحر وغموضه.. هل فاض البحر يوما
فأثت هذه الصخرة منقولة بحبل سفينة شدها الموج إلى الرمال
!؟.... لماذا هي مرفوعة فوق الرمل حتى هذا الزمن؟! .. حكاية

المردة والشياطين أكدوبة بدأت من الخيال وانتهت إليه .. المسألة
بحاجة إلى إجابة منطقية..

الجان والشياطين يعجزون عن مقاومة الطوز، وأهل القرية
المسكينة يهربون كفئران مذعورة...
الطوز خصم شرس...

هو زيوس هذه الرمال..
هو الذي انتصر على داحس والغبراء بعد أربعين سنة من
الموت..

هو الذي هجر الآشوريين والكنعانيين والهلايين .. ويقال
الفراعنة..

الطوز يأكل الأحياء ويضيع الأموات.. الناس هم الذين حملوا
الصخرة من البحر وجاءوا بها إلى الصحراء .. كم مات من الحاملين
حتى استقرت هنا؟! .. هل جرتها الإبل؟! ..
يعتبرونها ربة الخصب .. وعشتار الصحراء..

- يا جالبة الخير والمطر ، يا ابنة اليم ، أعطنا الماء، وخذي
روحا .. حاربي الطوز، وخذي روحا..
يتضرعون ليهمد الطوز ، ولا يهمد الطوز غير المطر...

٥. حب:

عندما وقف على تلك الصخرة ، ماذا قال في نفسه؟
 قلت : لماذا لا تكون هذه الصخرة إسافا ذلك الفتى الجاهلي الذي
 أحب نائلة الحلوة حبا جما تفوق فيه على مجنون ليلى ..!؟
 ولكن أين نائلة؟ أين صخرتها المذبوحة؟ هل وئدت هي
 الأخرى؟

يجب أن تكون بجانب صخرة حبيبها الحزين .. غيابها غير
 معقول !! هل عبث أحدهم بها فقتل عقلها ليبعدها عن عاشقتها
 المجنون؟! .. هل أخذوها لتدفن في صحراء نائية؟ إن ذنب الأنثى أعظم
 إفكا من ذنب الذكر!! .. هل اكتشفوا حب الناس للصنمين؟ وإذا
 استطعت أن أجزم بأن الصخرة هي إساف العاشق المتمرد .. فلا بد
 من البحث عن نائلة!! إذن هو العقاب .. حتى بعد الموت ...
 إنه يحجز في هذه الرمال المستفولة ليعاقب بالحرمان .. ربطوه
 بأوتاد حديدية في أعماق جوفها ، وسلطوا عليه الطوز ليل نهار يأكل
 من وجهه .. أعني من وجه الصخرة .. والناس يتأملون خيرا!!
 إنه - يستحق ما حصل له - استخف بالآلهة عندما تواطأ مع
 نائلة ، فأسف بحق هبل الخصي!! اللعين لم يطب له النيل من نائلة

إلا أمام نظرات هبل المستنكرة.. نالت الأصنام من هبل؛
ففضحته... فنال منهما...

كيف حدث ذلك؟! ..

تمالك هبل نفسه ، فمسخ العاشقين صخرتين أقيمتا على بابي
المعبد لتكونا عبرة للناس أجمعين ، وسيفا يحذر به كل متمرّد لعين ،
قد تخول له نفسه التعدي على حقوق هبل سيد الأصنام ، حتى ولو
كان خصيا ... !!

لم يكن بحاجة للتحقق من خيانتها ؛ لأنها تقابلا بين
عينيه.. بل تحديا رجولته بالذات ؛ لأنه عرف بين الثموديين بهبل
الخصي...
لا لا يمكن أن أصدق هذه الأسطورة... فهذه الصخرة ليست
لإساف . فهل يعقل أن ينقل إلى هنا من هناك...

قال كتاب الرمل:

المشكلة بدأت بعد تحول الصخرتين إلى صنمين يعشق أحدهما
الآخر.. إذ تأمرت بعض الأصنام على هبل ، وتآمر الناس عليه عندما
قدموا القرايين في الخفاء للصخرتين ..

وعندما طلب الكهان من الناس لعن الصنمين الماشقين ،
وجدوهم يتقربون إليهما في الخفاء بالكلمة الحلوة الطيبة التي لم
يسمع مثلها هبل طوال حياته.... وحينها قرر الكهان قتل
الصخرتين أو قتل العشق بين الحجارة..

فهقه قه قه قه قه قه الطوز..

لا أظن ذلك يحدث بالفعل ..

لقد روي عن العشاق ما يثير البكاء..

لكن الطوز لا دخل له بالحكاية .. إنه خدعة وهمية .. إنه كذب

ونفاق .. إنه خزعبلات الرواة..

فهقه قه قه قه قه خرافة إساف ونائلة..

كانت حكاية جسدية ضاحك فيها إساف نائلة في المبدأ أمام نظر

هبل الخصي ، فمسخهما إلى صخرتين ..

هذا ما قالته العرب ..

وهذا ما فهقه قه قه قه قه لأجله الطوز!!..

٦- شحيلة

الطوز !! اللعنة !! إنه على مرمى البصر يفعل كل شيء ،

والناس لا يملكون أمامه أية شيء.. الشيء واللاشيء .. المهم أنه لا

يرحم .. يغتصب النساء في أحلى لحظات نومهن .. يفعل ما يحلوا
له.. الموت للذين يتمردون عليه .. إنه يقهقه إذا صرخوا ..
- ادخلوا بيوتكم غلقوا الأبواب .. الطوز قادم .. عشرات الأميال
ويحل عليكم...

- يا ربة الخصب ، جاء الطوز فأغيثينا.. ارحمي المعاشير..
- يا ابنة اليم خذي روحا ، وأعطينا المطر..
- أيها الناس، لا تتركوا أغنامكم خارج البيوت ، الطوز لعين هذه
المرّة.. لقد شممت رائحة العفن في هباء الغبار !!
- ومتى كان الطوز رءوفا رحيمًا ..؟!

قالت ذلك امرأة نظرت إلى وجه طفل يابس بين يديها.
- يا سيدة الصحراء ، جاء الطوز جاء ، جاء العذاب
جاء، ارحمينا يا رحيمة..

- اللعنة عليكم أيها الناس الأغبياء!! ماذا فعلت لكم الصخرة
الصماء؟؟! ماذا فعلتم لأنفسكم غير الذل؟؟!! .. تهربون من الموت إلى
الذل والحجر .. ولا تحاربون الطوز!!

- اللعنة عليك وحدك . منذ رأينا وجهك لم نر الخير.. أقوالك
خبثة ملحدة ..

- ما الذي نملكه أو تملكه لنحارب الطوز؟ ..

- دلنا على الطريق يا عراف زمانك..
- ابحثوا عن مصدر الطوز ودمروه ، ابحثوا عن تلك الكثبان
وأحرقوها..
- قه قه قه أتريدنا أن نحارب الطوز كله ..
- لقد كنت أدافع عن عقلك يا شميلة في مجالس القوم، ولكنني
الآن أشهد هذه الصخرة على أنك مجنون حقا.
- حي حي حي ، يا سيدة الصحراء أغيثينا ، حي حي حي ...
- حي حي حي يا ربة الخصب أغيثينا ..
ردد الناس ذلك حول الصخرة التي بدت لبعضهم أكثر من
عاجزة..
كان الناس يقولون لا شيء أعظم من الطوز ..
وكان شميلة تائرا ... لا يمتدح بخرافاتهم !!!

٧. فخار :

عندما وقفت على تلك الصخرة سيدة الصحراء قلت في نفسي :
فخار يكسر بعضه .. لكنني عدت وقلت: ما الذي ستفعله يا شميلة
إن ماتت الهمم .. إنك أصبحت غارقا في الرمل مع الفارقين .. ولا
سباحة في الرمل إلا للغواصين..

ترتعب حواسك الخمس المنهكة .. تتقيأ أحشاءك.. تهرب إلى
الصخرة فيحاصرك الطوز..

كل الناس أصبحوا يعرفون علامات حلول الطوز، يعرفونها
بدقة: هبات من الهواء، تتصاعد تدريجيا، وعندما ينظرون إلى
الغرب، يرون السماء داكنة مغبرة قادمة إليهم ..أصبح الناس
يعرفون كل شيء .. ولا يملكون غير بقايا الصخرة .. يمكن الطوز
أياما ويغيب أياما .. إنه درجات.. درجاته لم تفارق القرية .. لأن
الأرض رملية. وأحيانا يبدأ الطوز من حبة ليصبح قبة : حمار ما
يتمرغ بالرمل مع هبة هواء قلقة ، يتفاعل الهواء مع الرمل مع حركة
الحمار المجذور ..تتحول الأرض إلى طوز حبة، ثم يتحول الأفق إلى
طوز قبة ..

- حي حي حي يا سيدة الصحراء أغيثينا حي حي حي..

- حي حي حي يا ربة الخصب أغيثينا..

انكسر البشر في تلك الخربة الصحراوية المغتصبة ؛ انكسروا

حتى الثمالة .. الطوز يفعل كل شيء.. ولا حول لهم ولا قوة !!..

الناس لم يعودوا يملكون غير قهرهم وذلهم وانحشارهم في بيوت

مهمزومة لا تستر عوراتهم .. الأطفال يولدون مشوهين ، ويكبرون

مشوهين .. هو الطوز هاتك ستر العذارى .. وشعيلة لا يملك غير وعيه..

٨. راحيل:

عندما وقفت على تلك الصخرة ، قالت الجغرافيا : إن قلب النهر العظيم فرفشة ، ولسانه نكتة ، وهو نهر عظيم ، رطب الأرض فترطبت القلوب..

وقال التاريخ : إن الناس أشد كفرا ونفاقا ، فالرمال العظيمة أحرقت الأرض. فاحترقت القلوب ، وعم الطوز..
الرمال الكثيرة ، والنهر العظيم ، وبلاد الدواحي تتوطأ فيها راحيل .. مات النهر العظيم .. وتصفق المواكب الفسائية لراحيل وهي محمولة على أكتاف المناذرة..

الرمال ، والنهر العظيم ، وراحيل الثالثة الأخرى ، وهذا الطوز..كلنا في قهر وآمال من شوك ...

ما العمل ؟ سؤال طرح غير مرة!!

الصخرة .. والزمن ، والانقلاب الأرضي.. والصبر مفتاح الفرج..

- احملو سيوفكم وقاتلوا منابع الطوز!!

- اقتلوا الطوز أولا!!

- حاربوا هذه المناير السائبة!!

- حاربوا الطوز .. اركبوا الخيل إلى منابيعه!!

سخر الناس ..

حملوا ذلهم إلى أعماقهم وقالوا:

- مجنون من يفكر بحرب الطوز ..

إنه الطوز!!

ويغيب النهر العظيم !!!

سبحان الله العظيم

٩- غول:

عندما وقفت على تلك الصخرة نظرت أمامي .. تخيلت سهما كتب

تحتة : انظر إلى اليسار . فنظرت إلى اليسار ، وكلني شوق للمعرفة!!

فاكتشفت سهما آخر كتب تحتة : لا تنظر إلى الخلف ، فشدني

الفضول، فحركت رجلي اليسار إلى الخلف ، وما أن نظرت إلى الخلف

حتى اكتشفت سهما ثالثا كتب تحتة : انظر إلى اليسار... نظرت...

فوجدت نفسي مع اليمين .. لا فرق بين اليمين واليسار .. كانت

الرمال مترامية الأطراف .. الصحراء وبقايا البشر ..

الرمال والصحراء وبقايا البشر ..

صرخت في أعماقي : ما الذي تفعله الرمال في شراييني
المعذبة؟!.. لم استفولت صحرائي علي؟!.. وقديما قالوا :الفول
أنثى ، وأنا أقول الفول ذكر..
- حي حي حي ، يا تلك السيدة الأولى ، خذي روحا ، خذي
تينا وزيتونا..

- حي حي حي ، وقدميها للصحراء قرايينا..
- حي حي حي ؛ كي يحل الطوز عن جوارينا
- حي حي حي..
الناس يتصارخون .. والمصر الجاهلي كما أراه رمال في رمال..
إنه ينتظر رسالة الخصب!!.

(والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا
الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا ،
وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون)

١٠. امرؤ القيس:

عندما وقفت على تلك الصخرة سيدة الحزن والموت ، تخيلت
نفسى فراشة مفسولة بأحماض متعفنة ، تخرج من وكرها تبحث عن

شيء تأكله .. تقع في جوف كهف رملي تصرخ ثم تصرخ .. ترى
نفسها لا شيء..

يتردد صوتها ، ويتردد ، ثم يتردد بخفوت..

تحفر في جوف الرمل

- يا أهل خربة بني دار.. يا أهل خربة بني دار

الطوز في دياركم الطوز في دياركم..

الصحراء والنهر والتين والزيتون ..

_ أيها الناس ، لا تغلقوا بيوتكم ، فالطوز لا يأتيكم ، إنه يثار

عليكم من دياركم . يا أهل خربة بني دار .. طوزكم تعفن وهو يثار

عليكم ، عندما تتوارون خلف الأبواب .

يا أهل خربة بني دار .. الطوز في دياركم ، فحاذروا..

غاب الصوت مع مغيب الشمس ، وراح الليل يردد:

- يا أهل خربة بني دار .. الطوز في دياركم.. الطوز في

دياركم... الطوز في دياركم !!

١٩٨٨/٩/١٥م

قال تعالى: (والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الأمين لقد خلقنا

الإنسان في أحسن تقويم...).

انتهت .

صدر للكاتب :

قصة قصيرة:

١. لقاء في الفوج الأخير.
٢. التبغ واللمنة : آخر ما توصل إليه عبد الله المسكين .

المسرحية :

١. في طريقهم إلى الجنون.
٢. الرخ يعانق بروميثيوس أو دليلة تتقيأ .

النقد:

١. فرح أنطون روائيا ومسرحيا .

الرواية:

١. بوابة خربة بني دار.

مخطوطات معدة للنشر:

١. إشكاليات الرواية الفلسطينية [قراءات نقدية] ٢. ثقافة المنهج : السرديات نموذجا [نقد] ٣. بقايا من الهذيان [قصص قصيرة] ..

بوابة خربة بني حار

... يجب ألا أهرب من قدري!! يجب أن أعيش حياتي بطولها وبعرضها. وفي نهاية المطاف قلت لنفسي: اسمع يا زيد العامر، أنت تضئع وقتك ونفسك!! فلماذا تصر على أن تحمل السلم بالعرض؟! قلبك أبيض، لكن أصحاب القلوب البيضاء هم الحمقى في هذا العصر. يجب عليك أن تتروى عندما تريد الحكم على ما حولك. يجب أن تفكر، وتعد للعشرة، قبل أن تصرخ في الآخرين أو تتهمهم. أنت لست مثلاً زائداً عن الناس في شيء، كما أنك لست الوحيد العامر في هذا الكون، يجب أن تضع راسك بين الروس، وتقول: يا قطاع الروس. أو انسحب، واطرك غيرك يكون هو كبش الفداء، عليك أن تترك ما يزعج الثعابين، حتى تعيش أحلامك. ولكن هل لديك أحلام؟! لا تقنع نفسك بأن حياتك أكذوبة!! عندما تقرر أن تبعد عن مشاكل الآخرين. ماذا بقي منك؟! سجنوك خمس مرات!! قتلوك من أجل لغتك!! المهم، من الآن، هو ألا تتحدث في أمور لا تعنيك. لو تدخل كل إنسان في أمور البلد لأصبحت مثل الطبخة الشايطة كما قالوا لك. وعندما تعلن لهم أن ما يحدث هو ضد مصلحة البلد، كانوا يقولون لك: «طر فيك، وفي البلد»!!...

